وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة / النجف الأشرف
كلية الآداب / قسم اللغة العربية

توجيه الشاهد القرآني في الدرس النحوي
عند الخليل في كتابه الجمل في النحو
دراسة المعنى النحوي ومعطياته التفسيرية

(الخليل،سيبويه،التوجيه النحوي بين الرفع والنصب،بين الحال والخبر،الغاء(كان)،تحويل زمن الفعل من المضي إلى المضارع وبالعكس،تضمين الفعل،توسط الفعل بين صفتين،الفصل بين الإسم والنعت،النصب عطفاً على اسم(إنّ)والرفع على المحلّ،نصب المنادى المضاف، النصب على الاستغناء والفرق بينه وبين الرفع،تقديم خبر(ليس)،مجيء اسمها مصدرا مؤولا مؤخرا.)

(بحث)
الشيخ الأستاذ المساعد
الدكتور رياض كريم عبد الله البُديري
جامعة الكوفة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

مستخلص البحث

ولا شك أن أسلوب القرآن الكريم من أرقى الأساليب التي عرفتها اللغة العربية، يزخر بالتنوع في أسلوبه بحسب ما يقتضيه المقام من حكمة البيان عن المقاصد العلية فيذكر مفردات تغني عن التفصيل لدواع بلاغية تناسب المقام.كتنكير الاسم كلفظ(خالصة)مما جاء في صفحات هذا البحث،وكالتقديم والتأخير كعبارة(البرّ،وأن تولوا).

وانطوى التعبير القرآن على كثير من الاستعمالات التي تمثل قمة الفصاحة واتباع الانتقاء بحسب القصد المطلوب من اللفظ المنتقى.فقد تجد في تنكير الاسم ما لا تجده في غيره من الأساليب البلاغية الدقيقة إذ يتفرد بمقاصد تثير العاطفة والفكر عند المتلقي وتكون مرتبطة بالسياق كالتعظيم والتكثير والتقليل والتحديد والإيضاح والإبهام.وتنكير الاسم يفيد معنى واسعا لا يبلغ المرء كنهه فيما لو عَرَّفه،فهو يصيب فيه غاية الإصابة ويبعث في النفس تأثيرا متصاعدا،فإنّ النص القرآني ينطوي على معانٍ لا تنقضي عجائبها،وأوجه تفسيرها وتأويلها،مما يبقى معه النص حقلا رئيسا في الدراسات اللغوية،والتحصيل،والعلم والتفسير،وبهذا التعدد نفسر الخصوبة والثراء الفكري للنص القرآني.

.....

مستخلص الانجليزية

the regions, Mtafqata sense, is Mokhtfattah, Fboathma read the reader is correct in expressing the meaning. Tell a glorified and exalted, as he made the night a home, because he lives it every day and moving, and the rest, Vistqr in his home and his abode. (Aa: Mosque of the statement in the interpretation of the Koran 7: 283, the argument of Ibn Khalouet 146) I do not see it as well, but the meaning the meaning of the name of the actor, including the recipe is Mnonh D to move continuously inform the future, though the meaning that make it a home has always been without the will of the meaning of regeneration which Ptaaqbh with the day and this meaning and that was okay and the fact that Allah will grant the night, but narrow and verse Blfezha atmosphere allows high and wide and started to act a sign of regeneration, which means succession so meaning to mention the day and night. But set the sun and the moon on the meaning of the act indicates the regeneration of the meaning of succession, which befits the sense that he sees the researcher from having to read the reaction of the broad meaning of the succession of night and day, corresponding to the sun and the moon (and night (day and the sun) and the Moon). This is what I see from the art installation of the gateway Quranic Alajaz on the property and reduce the term with the convergence of the

المقدمة

تعود فكرة هذا البحث إلى بضع سنين خلت،إذ كنت أراجع كتاب سيبويه(ت١٨٠هـ)منذ سنة ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين حين وقعت بين يديّ أطروحة الدكتوراه(منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي/محمد كاظم البكاء)فكانت مثار انتباهي للكتاب حتى صار محط نظري وموضع إعجابي على الرغم مما أجد فيه من صعوبة بناء العبارة،وكثير معاناة في فكّها وكأنّها رموز لايتاح لأيّ أحد تعاطيها ومع ذلك فقد أنست به،وقد ساعدتني،على ما فيه من مغاليق،دراستي في الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف عمرهما الله تعالى،وما لقيته من التحفيز العلمي على يد أستاذي العلامة المرحوم السيد(محمد كلانتر قدس سرّه)في الاطلاع على مناهج التأليف القديمة،وما تنطوي عليه من وعورة العبارة بسبب اختزالها اللغوي،ومضمونها العميق فذلك ما منحني الصبر،والتعلم بطرق تحليل مضمونها ومحاولة صياغتها بلغة معاصرة.

وعلى هذا النحو كنت أعود كتاب سيبويه،باحثا،ومدرسا،فأجد له رأيا أبحث فيه مسألة أعرضها على كتاب شرح ابن عقيل(ت٦٧٢هـ)فأجدها تختلف حينا وتتفق حينا آخر.وكنت أحاول دخول عالم المقتضب للمقارنة بينهما فلم آنس به فكان كتابا بالنسبة إليّ يبعث على الشرود وذهاب العزم ويجلب لي الضجر والنحس.

وكنت أشدّ العزم على التحضير لدراسة الماجستير،فأجمع ما يقع لي من مسائل الكتاب أحاول دراستها وحفظها وكان الشاهد القرآني في الكتاب يشغل حيزا كبيرا من اهتمامي،وأنا أبحث في سطور الكتاب عن رأي الخليل الذي تعرفته من خلال كتاب المرحوم الدكتور مهدي المخزومي أستاذ نحويي العصر(الخليل بن أحمد الفراهيدي)فجعلت أرصد آراءه في الكتاب وفي غيره.

وحاولت أسجل موضوعا عن الخليل،أو في كتاب سيبويه في دراستي على الماجستير فلم أوفق لذلك بسبب عقبة الإشراف،فكان في ذلك من الصعوبة ما جعلني أعزف عنه.حتى تعززت الرغبة بمناسبة الاتصال بكتاب(الجمل في النحو)للخليل بن أحمد فيما بعد سنة ألفين.فعكفت عليه طيلة سنة أجمع شواهده وأراجعها فكان هذا البحث وقد بدأت به في شهر صفر من سنة(١٤٣٣للهجرة المشرفة)فسرت معه حتى نضج لوقته.

ولا شك أن أسلوب القرآن الكريم من أرقى الأساليب التي عرفتها اللغة العربية، يزخر بالتنوع في أسلوبه بحسب ما يقتضيه المقام من حكمة البيان عن المقاصد العلية فيذكر مفردات تغني عن التفصيل لدواع بلاغية تناسب المقام.كتنكير الاسم كلفظ(خالصة)مما سيمرّ،وكالتقديم والتأخير كعبارة(البرّ،وأن تولوا).

فقد تجد في تنكير الاسم ما لا تجده في غيره من الأساليب البلاغية الدقيقة إذ يتفرد بمقاصد تثير العاطفة والفكر عند المتلقي وتكون مرتبطة بالسياق كالتعظيم والتكثير والتقليل والتحديد والإيضاح والإبهام.وتنكير الاسم يفيد معنى واسعا لا يبلغ المرء كنهه فيما لو عَرَّفه،فهو يصيب فيه غاية الإصابة ويبعث في النفس تأثيرا متصاعدا،فإنّ النص القرآني ينطوي على معانٍ لا تنقضي عجائبها،وأوجه تفسيرها وتأويلها،مما يبقى معه النص حقلا رئيسا في الدراسات اللغوية،والتحصيل،والعلم والتفسير،وبهذا التعدد نفسر الخصوبة والثراء الفكري للنص القرآني.

وعلى هذا النحو جرت تفصيلات البحث في سرد الشواهد النحوية القرآنية الواردة في كتاب الجمل بحسب عنواناتها العلمية وقد رتبته بحسب ما أراه متلائما مع دقة الموضوع في التوجيه النحوي للشاهد القرآني بالاستئناس بأقوال العلماء وتحليل المفسرين بملاحظة الفرق الدقيق في المعنى بين التوجيه على الحركة الإعرابية وما يمكن فيه من حركة إعرابية أخرى.

كان الأول منها ما كان في التوجيه النحوي لتغير الحركة الإعرابية في سبيل الكشف عن مدى إمكانية تشعب الوظيفة النحوية للمفردة تبعا لهذا التغيّر الحاصل بوجه من وجوه القراءة.

كما تصدى البحث في جانبه الثاني لبيان أثر(المفردة)،وقد أحصى الباحث جملة من الشواهد القرآنية من مادة البحث في هذه المسألة.

ولعل من الجدير بالذكر أنْ يقال:إنّ التوجيه اللغوي عند الخليل وسيبويه هو نفسه ما اعتمد عليه علماء اللغة ممن جاء بعدهما كابن جني(ت٣٩٢هـ)وغيره من اللغويين وقد كان ذلك سببا رئيسا في اختيار هذا الموضوع،بعد أنْ فتشت عنه في مضانه ولم أقف على دراسة وافية غير دراسة الدكتورة خديجة أحمد المفتي الموسومة(نحو القراء الكوفيين)وهو غير ما نحن فيه إذ تتعرض لتسويغ القراءة وبيان الحجة فيها من الجهة النحوية فجمعتْ آراء العلماء في الاحتجاج لتصحيح القراءة من الجهة النحوية .

ودراسة الأستاذ قاسم الحميري(التوجيه النحوي للقراءات القرآنية)وقد خصصه لدراسة منهج العكبري(ت ٦١٦هـ)وآرائه في تسويغ القراءات وتعددها.

فكانت هذه الدراسة التي يقدمها الباحث بعنوان(توجيه الشاهد القرآني في الدرس النحوي عند الخليل)سابقة،على الرغم من وجود دراسة الأستاذ المساعد الدكتور (محمد إبراهيم عبادة/مصر-جامعة بنها- كلية الآداب)الموسومة:كتاب الجمل في النحو(المنسوب للخليل بن أحمد)دراسة تحليلية.وهو في كتابه هذا بعيدٌ تماما عمّا نحن فيه من دراسة التوجيه النحوي للشاهد القرآني.فقد عمل الدكتور محمد عبادة على وصف مادة الكتاب وإحصاء مسائله النحوية والصرفية، وتعريفاته،وتعليله ومصطلحاته،وترابط أبوابه،ومقارنة آرائه بين ما في كتاب سيبويه وكتابه العين وما في كتابه الجمل.فعقد ذلك في أربعة فصول .

وقد قُدّر لدراستنا هذه أنْ تدور في فلك الكتاب؛لأنّه حُشيَ بآراء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)وكان من إملائه على تلميذه سيبويه(ت١٨٠هـ)ومن ثم في فلك كتاب الخليل (الجمل في النحو)الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة.فنسأله تبارك وتعالى التوفيق في إتمامه.هذا وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا على جميع صحبه الميامين الذين اتبعوه بإحسان.

الباحث

النجف الأشرف - ٢٢/ ربيع الأول/ ١٤٣٤للهجرة

تمهيد في فكرة البحث وخصائصه

تعدّ الشواهد القرآنية رافدا ثريا من روافد الدراسة اللغوية ؛ ذلك بأنّها مما تتعدد فيه الوجوه الإعرابية كما تحمل شحنة كبيرة من الدلالة الصوتية والصرفية بسبب تعدد القراءات . ومن هنا فهي مصدر لغوي من مصادر الدراسة اللغوية ويقوم عليه أصل كبير ورئيس من أصولها وهو السماع فلم يغفله النحويون تماما وإنّما أخذوا به إلى حدّ كبير.

قد تختلف القراءة بتغيير حركة إعرابية مما يتوفر معه الدرس على مساحة طيبة من الدراسة العلمية في الوصف والتحليل ولكن طالما دعا العلماء إلى التزام المأثور من القراءة فقد سبق الطبريّ(ت٣١٠هـ)في ذلك غيره مع أنّه تارة يجوز القراءة ،وأخرى يمنعها ويدعو إلى التزام المأثور بأنّ الوجه من القراءة وإنْ جاز في العربية فغيرُ جائز القراءة به لخلافه خطوط مصاحف المسلمين.واتخذ الزجاج(ت٣١١هـ)موقفا متحفظا وهو يدعو إلى ذلك وهو ما صرح به أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) قوله:((والقراء قد يتبعون مع ما يجوز في العربية الآثار، فيأخذون بها ويؤثرونها إذا وجدوا مجاز ذلك في العربية مجازا واحدا))(١)وإنْ كان هناك من سبق إلى جواز القراءة بوجوه العربية كالفراء(ت ٢٠٧هـ)ومرجع ذلك اختلافهم في حجية القراءة شرعا؛وإنْ اتفقوا جميعهم على أنّها حجة نحوية.

ومن أمثلة ذلك توجيه قوله تعالى على قراءة الجر/الاتباع على الصفة والنصب على المدح أو القطع على الابتداء في قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(الفاتحة٢).وهذا الاختلاف يترك أثره على تعدد المعنى النحوي ما يكشف عن دلالة السياق ومعنى الخطاب من جهة تفسيره .

وقد ترد الآية في الأصل المشهور من قراءتها والتعبد بها على اختلاف الحركة ما يسمى بكسر السياق في قوله{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا}(النساء١٦٢)وهذا ونحوه إشارة إلى اختصاص المقيمين الصلاة بميزات العبادة التي يستحق بها الإنسان قبول الأعمال وجزاء الرحمن ويدل عليه الحديث المشهور(الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإذا قبلت قبل ما سواها وإنْ رُدت ردّ ما سواها).

والبحث النحوي عند الخليل وسيبويه في ذلك كله بحث في المعنى وكشف عن طرائقه في التعبير من خلال الحديث عن العامل والتقديم والتأخير والإضمار ونحو ذلك مما يكون طريقا للتعبير عن قصد المتكلم.والمرجع في ذلك ملاحظة المعنى بشكل دقيق،وليس بكثير الصواب أنْ يقال في حقّ الصناعة النحوية أنّها أهملت المعنى .. نعم إننا متى أردنا أنْ نتخفف من أعباء هذه الصناعة لابدّ لنا من وصل الدرس النحوي بدراسة علم المعاني وربطه بها وإعادته إلى سابق عهده في الدرس النحوي عند الخليل وسيبويه.

وعندئذ ستكون دراسة النحو أقوى أثرا وأغزر انتاجا وأيسر طريقة.وذلك ما يحاول الباحث جعله نهجا لدراسته النحوية،داعيا الأساتذة الفضلاء أنْ يجعلوا دراسة المعنى أمامهم في تسجيل موضوعات الدراسات العليا .

ذلك أنّ استنباط المعنى من مكنون اللفظ لايخضع لقاعدة بعينها بل النصّ هو الذي يدلّ على مفاتيح مخزونه من المعنى من خلال رمز اللفظ وخصائص الاسناد بما يمثل علامة/ قرينة عليه كالنصب بـــ(أنْ)المصدرية،وارتفاع الفعل بعدها على أنّها المخففة مع اعتراض حرف النفي(لا)بينها والفعل في الحالتين.وقد تأتي تفسيرية وتأتي تحتمل الوجوه كلها ولاسيما عند مجيء القراءة عليها.وهكذا الشأن في بقية المسائل النحوية.

من ذلك ما يُلحظ من أثر تغيير جهة الاعراب من حيثيات المعنى. في نحو قول الشاعر: (الوافر)

وجدنا في كتاب بني تميم: أحقُّ الخيل بالركض المُعارُ

فلم يجز في هذا المعنى إلاّ الحكايةُ؛لأنّه لا يدخل عاملٌ على عامل.فأحقُّ الخيل رفع بالابتداء، والمعار خبره،قال المبرد(ت٢٨٥هـ):فهذا بمنزلة الفعل والفاعل.والذي أراه أنّ النصب جائزٌ من حيث العامل وممتنع من حيثيات المعنى فالنصب على معنى الوجدان المادي بالتجربة ورأي

العين،والرفع أنّه وجد خبرا في كتابهم مفاده:أحقُ الخيل بالركض المعارُ.وعلى هذا يُنشَد بيت ذي الرُّمّة:(الوافر)

سمعتُ:الناسُ ينتجعون غيثا فقلت لصَيْدَحَ:انتجعي بلالا

لأنّ التأويل:سمعت من يقول:الناسُ ينتجعون غيثا،فحكى ما قال ذاك:فقال:سمعت هذا الكلام.ولو نصب لكان المعنى سمع هو بنفسه وكان لفظ الناس واقعا في حيز الفعل بالحدث الواقع.

وعلى هذا تقول:قرأتُ:الحمدُ لله ربّ العالمين.لايجوز إلاّ ذلك؛لأنّه حكى كيف قرأ وكلُّ عاملٌ، ومعمول فيه هذا سبيلهما.وتقول:قرأت على خاتمه:الحمدُ لله،وقرأت على فضه:الله خيرٌ حافظا، كأنّك قلت:زيدٌ منطلقٌ.والمعنى قرأ المكتوب على خاتمه وهو:الحمدُ لله،وتقول:رأيت على فصّه الأسدَ رابضا(بالنصب)؛لأنّك لم تر هذا مكتوبا،وإنّما رأيت صورته،فأعملت فيها الفعل،كما تقول:رأيت الأسد يافتى.فالمرئي واقع في حيز الفعل.

وجعل المبرد من هذا النحو بعض الآيات فقال:((فأمّا قوله عزّ وجلّ: (قالوا:سلاما،قال:سلامٌ) فالمفسرون على قولين في النصب.أمّا الرفع فلا اختلاف في أنّ معناه –والله أعلم- قولي سلامٌ، وأمري سلامٌ،كما قال تعالى:(طاعةٌ وقولٌ معروفٌ)كما قال:(وقالوا:مجنونٌ وازدجر)على الحكاية:وأمّا النصب،فباضمار فعل،كأنّهم قالوا:سلّمنا سلاما.))[٢]ولست أرى ذلك منه.

ففي كتب التفسير أنّ النصب في(قالوا:سلاما)على المصدر الساد مسد فعله المستغني به،وهذا يعني عدم الحاجة للتقدير،ولانطوائه على تغيير جهة المعنى،فالنصب على قصد تحيتهم بأفضل مما حيوه،أخذا بأدب الله تعالى فـ(سلاما)دعاءٌ،والمعنى:سلمكم الله مما جئنا به سلاما،كما قال وسلّموا تسليما.ويتجه أن يعمل في(سلاما)قالوا:على أنْ يجعل(سلاما)في معنى قولا،ويكون المعنى حينئذ:أنّهم قالوا:تحية وقولا معناه سلاما.

وقد تؤثر الحركة الإعرابية بتغيير المعنى بأكمله كقراءة الرفع في منفي(لا)الذي يحول المعنى من النفي لاستغراق الجنس إلى النفي الاعتيادي وتحويل(لا)من النافية المستقلة بنفسها إلى كونها بمعنى ليس.

والفرق بينهما من جهة الرفع والنصب فنقول على النفي لاستغراق الجنس:(لا مالَ لزيد)وهو لنفي أيّ نوع من المال فالمنفي جنس المال كله قليله وكثيره ومنه قوله تعالى{لا ريب فيه} وقال {فلا رفثَ،ولا فسوقَ،ولا جدالَ}وقوله{ولاخلة ولا شفاعة}قال الخليل في صفة(لا التبرئة)وفي تفسير تلكم الشواهد:((ومن رفع جعل(لا)في معنى ليس بيع فيه،وليس خلةٌ،وليس شفاعةٌ))[٣]وهو ما يعني أنّ تغيير الحركة الإعرابية تغيير في عنوان اللفظ ووظيفته النحوية،ما يعود على الكلام بتغيير جهة المعنى فيه،وتغيير منحى الدلالة عن قصد المتكلم؛ذلك بأنّ نفي الجنس قطعيٌّ حتى لا يعود معه احتمال وجود المنفي مقبولا على كلّ حال،بينما يكون النفي بـ(لا)التي هي كـ(ليس)يحتمل فيه وجود المنفي،والفرق بينهما كالفرق بين النفي بـ(لم)والنفي بـ(لمّا)على النحو من البعد بين النفيين فـ(لم)تنفي الزمن الماضي،وتنفي(لما)الزمن الحال،كذلك تنفي(لا)التي هي للجنس الكل بالاستغراق،وتنفي(لا)التي بمعنى ليس الشيء ليس بنحو الكلية،بمعنى يمكن أنْ يوجد بعض أفراد المنفي بنحو ما من الوجود

ومن ذلك،أيضا،ما أشار إليه سيبويه من قول الخليل في تفسير إضمار الفعل على معنى لفظ الوصف الظاهر في نحو قوله تعالى:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}(الأنعام٩٦)على قراءة وجاعل الليل(بالكسر)فقد نصب الشمس والقمر على ما نصب عليه قبله في المعنى فقد أُجري (جاعل)مجرى الفعل الذي يتعدى إلى مفعول في التنوين وتُرك التنوين وأجري السياق على إرادة معناه لأنّه يعمل عمل الفعل فنصب الشمس والقمر[٤]

ويرى الباحث في تفسير المعنى النحوي لهذه القراءة لايمثل تفسير النص القرآني لاختلاف بعض جزئيات المعنى بين القراءتين قال الطبري(ت٣١٠هـ)((وَجَاعِلُ اللَّيْلِ)بالألف على لفظ الاسم،ورفعه عطفًا على(فالق)،وخفض(الليل)بإضافة(جاعل) إليه،ونصب(الشمس والقمر)،

عطفًا على موضع(الليل)؛لأنّ(الليل)وإنْ كان مخفوضًا في اللفظ،فإنّه في موضع النصب،لأنّه مفعول(جاعل).

وحسن عطف ذلك على معنى(الليل)وليس على لفظه،لدخول قوله:(سكنًا)بينه وبين(الليل)،قال الفرزدق:(الطويل)

قُعُوداً لَدَى الأبْوَابِ طُلابَ حاجَةٍ... عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةً بِكْرًا

فنصب(الحاجة) الثانية،عطفًا بها على معنى(الحاجة)الأولى،وليس على لفظها؛لأنّ معناها النصب،وإن كانت في اللفظ خفضًا))[٥]وهذا النمط من التعلق بالعطف يمسك بارتباط المعنى وكان الشاعر قادرا على الجرّ،ولكن لما كانت الحاجة مختلفة غير متصلة بقوله(عوان من الحاجات)نصب ووصفها بالبكر.وهذا مظهر من مظاهر العناية بالمعنى وسلوك سبيل الإعراب للبيان عنه.

وقد يجيء مثل هذا أيضًا معطوفًا بالثاني على معنى الذي قبله لا على لفظه، وإن لم يكن بينهما حائل،كما قال بعضهم(وهو لرجل من قيس عيلان،ونسب لنصيب):(الوافر).

فَبَيْنَا نَحْنُ نَطلبه أَتَانَا... مُعلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنادَ رَاعِ [٦]

وقرأ الكوفيون:(وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ)،على(فَعَلَ)،بمعنى الفعل الماضي، ونصب (الليل).قال أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ):والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال:إنهما قراءتان مستفيضتان في الأمصار،متفقتا المعنى،غير مختلفتين فيه، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى.إذ أخبر جل ثناؤه أنّه جعل الليل سكنًا؛لأنّه يسكن فيه كل متحرك بالنهار،ويهدأ فيه،فيستقر في مسكنه ومأواه.[٧]

ولست أراه كذلك بل المعنى من جهة اسم الفاعل بما هو صفة غير منونة دال على المضي باستمرار يبلغ به المستقبل فكأنّ المعنى أنّه جعله سكنا على الدوام بشكل إجماليّ من دون إرادة معنى التجدد بشكل تفصيلي فيه بتعاقبه مع النهار وهذا المعنى وإنْ كان حسنا وحقيقة أنه تعالى جاعل الليل لكنّه ضيق والآية بلفظها تسمح بأجواء عالية واسعة فجعل على الفعل فيه دلالة التجدد التي تعني التعاقب فيكون المعنى على ذكر الليل والنهار.من تحقيق الاختزال اللفظي والاتساع في التعبير فالرمز(سكنا) يسمح بتصور ما يقابله من الحركة وبالتالي ذكر الليل يسمح بتصور النهار عند تصور الحركة وهكذا يدل رمز الشمس وما يقابله من القمر وكلاهما يدل على ملائمه ومناقضه.

ويمكن فيه كلام آخر وهو إرادة معنى الثبوت الذي في الصفة المشبهة في أحد أوزانها مما تنبه إليه العلماء فقد جاء فاعل في معنى الصفة المشبهة،أيْ:مطلق الاتصاف بالمشتق منه من دون معنى الحدوث،وإنْ كان أصل(فاعل)الحدوث وذلك للدلالة على الثبوت والدوام باستمرار.[٨]وذلك لعدم الدليل في الصفة على الحدوث.

لكنّ نصب الشمس والقمر على معنى الفعل(جعل)يدل على التجدد لمعنى التعاقب وهو ما يليق بالمعنى الذي يراه الباحث من وجوب قراءة الفعل لاتساع المعنى لتعاقب الليل والنهار بما يقابل الشمس والقمر(الليل و(النهار والشمس) والقمر).هذا ما أراه من فنّ تركيب العبارة القرآنية على خاصية الإيجاز واختزال اللفظ مع تلاقي الأطراف والله تعالى أعلم .

زيادة في كون المعنى على الدوام أوفر في القدرة المستقرة الثابتة في حقه تعالى وكأنّ معنى التجدد على حسنه دال على الحاجة إلى تجديد التعاقب مع تجدد الإرادة وهو أقلّ مؤنة من معنى الاستقرار في كونه مريدا للتعاقب الثابت في إرادته تعالى..

وما تطرحه الدلالة السياقية من فهم اعتمادا على العلاقات البنيوية الأفقية في هذا النص،يساعدنا كثيرا في جلاء المعنى الحقيقي.فالسياق يقوم بتحديد العلاقات السياقية التي تربط الكلمات في التركيب لأنّ((الكلمات في التركيب تكتسب قيمتها من مقابلها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات))[٩].فالكلمة تكتسب قيمتها من مجاورتها للكلمات السابقة واللاحقة لها في أي تركيب أو نصّ وما يرد في الآيات الكريمة من مقابلات في الألفاظ،وجمل متسقة أفادت السياق في

استنطاق النص،وذلك يتضح في حدود نظرية الاعراب من دون داع للالتزام المتحجر في العامل اللفظي.

ومن ذلك قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} (الانعام١٠٩)فقد اختلف العلماء في توجيه(لا يؤمنون)وهمزة(أنها)فقراءة بالكسر وأخرى بالفتح.وبعضهم من جعل (لا)لغوا،ومنهم من جعل(أنّها)بمعنى لعلها على لغة أنّ في لعلّ.ولم أجد إشارة في الكشف عن المعنى.(١٠)

ولكنّي رأيت أنّه لما كان الفعل مؤكدا بالنون وسياقه فعلي قابل للتحقق وعدمه مشوب بالقسم استحق الجواب وهو في علم الله تعالى أن يأتي بالجملة الاسمية المؤكدة في نقض قسمهم في جملة الشرط.ومن هنا ستكون(أنّ)على بابها لتقدمها بالفعل يشعركم.وقوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ}مقطع في الجواب على الجزء الأول من كلامهم وهو(لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ)وقوله(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) جواب على الجزء الثاني وهو جواب الشرط المشفوع بالقسم في تأكيد الإيمان.

وجاء الجواب المؤكد بهيأة الجملة الاسمية لمعناه الصريح في الثبوت مما يفيد تثبيت معنى نفي إيمانهم بالله.وتعلله الآية بعده وهي قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}(الانعام١١٠).وأمثلة ذلك كثيرة وقد اقتصرنا على بيان منهج الخليل في رعاية المعنى بتوجيهاته النحوية فتوصل الباحث فيما يصلح أنْ يكون معيارا في ضبط حركة التوجيه النحوي وإيجاد الفارق بينها وبين التأويل النحوي.

إنّ التأويل يعمل على ابتكار العلاقات الرابطة في السياق وقد يبتعد في أثناء ذلك عن المعنى الواضح وقريب التناوش بينما يبحث التوجيه النحوي في علاقات الاسناد نفسها واكتشاف طرق الاسناد بالاعتماد على علامات الإعراب مع وضوح مشرب الباحثين فمن يتعصب في عنايته بنظرية العامل،ورعايته لتوجيه القدماء قد يتجاوز المأخذ القريب ويتجه إلى ما يبعده وقد يتناقض معناه من دون أن يلتفت وحينئذ سيمثل جورا على المعنى وانحرافا عن القصد.وفيما يأتي ما يمكن أن يصطلح عليه الباحث معايير يلحظها الباحث في منهج تفسير العلامة الاعرابية في سبيل الكشف عن المعنى.وهي كما يأتي:

١. الحفاظ على المعنى الشرعي للنص من دون إجراء التعديل عليه بحسب عقيدة الباحثين أو بحسب مأخذهم الفقهي فيما يتعلق بالحكم الشرعي كما يجري في آية الأرحام وأية الوضوء مما اشتهر بين الدارسين.

٢. عدم محاولة،أو قصد الخلاف من أجل الخلاف ورد الآراء من دون دليل علمي على الرغم من أنّ الخلاف اللغوي في تفسير تعلق اللفظ بروابط الاسناد وتوجيه العلامة الاعرابية بين معنيين مما يثري الساحة العلمية.فإنْ وجد الباحث طريقا آخر لتفسير علاقات الاسناد والكشف عن معنى دقيق فلا يجب عليه الطعن بما سبقه من التوجيه النحوي واللغوي للسياق.

٣. البقاء على مركزية القرائن الفاعلة في الكشف عن المعنى واعتمادها بحيوية وتجرد مما يفسد على الباحث أصالتها مما يضطره الأمر إلى ابتكار رموز وقرائن مفتعلة تفسد النص.

٤. الحفاظ على خصائص موضوع الآية والالتفات إلى دقائقه وتشعباته وما يترتب عليها من أحكام بحسب موضوعاتها الفقهية أو التكوينية أو العقدية .

ويمكن الباحث عرض مثال في ذلك قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} (الشورى٥١)،فقد جعل النحويون علامة النصب(الفتحة)التي تشير بحسب العادة إلى الموقع الاسنادي للفعل(يرسل)النصب بـ(أنْ)

مضمرة بعد أو،وقد خرّج العلماء النصب عليها كالفراء (ت٢٠٧هـ)والزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)، وعبّر عنها ابن عقيل(ت ٧٦٩هـ)بقوله:((فـ(يرسل)منصوب بأنْ الجائزة الحذف لأنّ قبله (وحيا) وهو اسمٌ صريحٌ))[١١]،وذلك أنّ الفعل المعطوف على اسم صريح لايقصد منه لفظ الفعل وجب نصبه بأنْ،أيْ:أنْ يكون الفعل بتأويل اسم من لفظ الفعل وهو(مرسلا).فجعل النحويون هذا الفعل منها.وهو يشبه شواهد المسألة بالصورة اللفظية ويختلف عنها من حيثيات علاقات السياق.

والمعنى بحسب توجيه النحويين في هذه المسألة ما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحيا،أو إلاّ من وراء حجاب،أو إلاّ أنْ يرسل رسولا.وهذا المعنى سليم غير أنّ فيه نظرا.

إنّ هذا التوجيه يفقد جدوى التعبير بأسلوب الحصر بالنفي والاستثناء؛ذلك بأنّ هذا الأسلوب يستعمل للحصر في حالة واحدة ومختلفة عن غيرها يخرجها الحصر عن مجموع،بينما جعل هذا التوجيه الحصر للجميع ففقد جدواه،هذا أولا.وإنّه يساوي بين مراتب الانبياء،ثانيا،مما يشير إلى ضياع المعنى وضعف العبارة.

ولعدم صحة حمل الآية على الشواهد المعروضة من كلام العرب في المسألة،فعند مراجعتها يلحظ الباحث اتصال السياق فيها،ووحدة الموضوع،واشتراك الاسم الصريح والفعل المنصوب بـ(أنْ)مضمرة يشتركان بالخبر،وحرف العطف للتشريك الموضوعي والحكمي زيادة في ذلك وجود ما يدلّ على معنى استقلال كلّ جملة بما قصد منها مما أزعمه وهو قراءة رفع(يرسلُ).من ذلك البيت الشاهد:(الوافر).

ولبسُ عباءة وتقرّ عيْني أحبُّ إليّ من لبس الشفوف

فالمعنى على تأويل الاسم الصريح بالفعل،أيْ:وأنْ ألبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إليّ،أو تفسير الفعل بالاسم،أيْ:ولبس عباءة وإقرار عيني أحبّ إليّ.فاتصال السياق واحد وهو ما تتصف به هذه المسألة،وهو غير متحقق بالآية الشاهد.

لكنّ العبارة،عند الباحث،تسمح بغير هذا التوجيه،لتكشف عن معنى دقيق،وبحسب ما هو ظاهر من بنائها النحوي،وترابط علاقات الاسناد فيه،وقرب مأخذ المعنى وتطابقه مع واقع الموضوع الذي تعرضه الآية المباركة من خصائص التنوع في اتصال الانبياء بالله في تبليغ ما أنزل إليهم.

وذلك أنْ يكون الفعل(يرسل)معطوف على الفعل(يكلمه)المنصوب بـ(أنْ)ظاهرة في صدر الآية ويكون المعنى(ما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلا وحيا)فهذه جملة ناهضة متكاملة الأركان مستقلة.تعبر عن سائر الأنبياء.

والجملة الأخرى(أنْ يُكلّمه من وراء حجاب)وهذه الجملة الثانية مستقلة كسابقتها وهي تكشف عن طريق اتصال موسى عليه السلام بربه كما تشير إليه آية التكليم.

والجملة الثالثة:(أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه)،أيْ:الرسول يوحي بإذن الله بملاحظة أنّ الوحي إلقاء المعنى في القلب ويُقصد بها نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليه جبرائيل الأمين عليه السلام.

وقد يجري توجيه الحركة الإعرابية بتعدد الأوجه عند بعض النحويين من دون تحري الدقة في تفسير المعنى من ذلك ما عرضه الفراء(ت٢٠٧هـ)في إمكان تعدد العلامة الاعرابية رفعا ونصبا وجرا في نحو قوله تعالى:{فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}(هود٧١)قال:((والوجه رفع يعقوب.ومن نصب نوى به النصب، ولم يجز الخفض إلاّ بإعادة الباء:ومن وراء إسحاق بيعقوب.))[١٢]وفي هذا النصّ بيان عن عناية الفراء بالعامل اللفظي وتغليبه على المعنى المقصود من حيثيات البناء اللغوي ومعطياته التفسيرية،فقد شرط في جواز الحكم بالجر إعادة

حرف الباء للتقيد بلفظ الفعل(بشرناها)الذي يتعدى بالباء،وأغفل المعنى على الرغم من وقوع المبتدأ والخبر عند رفع(يعقوب)في حيز البشرى.

والنصّ المذكور بيان لتعدد العامل في رفع يعقوب ونصبه وجره،فمن نصبه أوقع عليه الفعل المفهوم من المعنى،أيْ:ووهبنا لها يعقوب،وصرّح به ابن مالك في التسهيل،والأرجح منه معنى:وجعلنا من وراء إسحاق يعقوب لعدم شمول(وامرأته قائمة فضحكت...)بالبشرى والهبة شخصا بل هي هبة حكمية بالمعنى.

ومن رفع على أنه مبتدأ خبره تقدم وهو ومن وراء إسحاق يعقوب،ويجوز الجر بنية تكرار الباء في صدر الآية أي وبشرناها من وراء إسحاق بيعقوب.

ولم يتعرض الفراء لأثر ذلك على المعنى بل تقبله في هدي تحقيق العمل النحوي،على الرغم من قوة اتضاحه فيما يراه الباحث.فلما كان يعقوب ابن اسحاق لم تشمله البشرى فالباء ممتنعة، ويمكن النصب على توهم الفعل الملائم للبشرى وهو وهبنا،والرفع جيدٌ لكنّ النصب أكثر اتساقا لوقوع كلّ النعم ومنها الأولاد في حيز هبة الله تعالى فحسن توهم الناصب اللفظي ليعقوب،وهو منصوب على المعنى من الهبة والبشرى.فلم يكن لتوجيه الفراء وابن مالك أيّ تعلق بمعايير النظر في التوجيه النحوي للآيات الكريمات من القرآن الكريم.

وتمثيلا لتلك المعايير جرى البحث في تقسيمات مباحثه على ملاحظة علاقات الاسناد وعلامات الاعراب التي تمثل عند الباحث رموزا على المعنى وفيما يأتي بيان ذلك.

أولا / التوجيه النحوي بين النصب والرفع بتحليل السياق وبيان المعنى:

وقع الخلاف في التوجيه النحوي لكثير من الشواهد النحوية وبما يأتي تفصيل نماذج منها يتسع لها المقام ، ويظهر من خلالها المعنى النحوي والفرق بين معطياته بحسب أسباب الاختلاف.وذلك لما يتسع له الاسم من خلال حركته الوظيفية في التركيب اللغوي للبيان عن المعنى.

فالاسم:ما دل على معنى في نفسه،غير مقيد بالزمن وبملاحظة شكله في الجملة ينقسم على قسمين ملازم لحالة واحدة،وهو(المبني)،أومتغير آخره بحسب وظيفته في الجملة،وهو(المعرب).ويُنظَر إليه في ضوء المواقع الإعرابية التي يشغلها،فيكون مرفوعا،أو منصوبا ،أو مجرورا بحسب مؤداه من المعنى الوظيفي.فالرفع علامة الفاعلية،ومنهم من جعله علامة العمدة في الكلام،أوالإسناد وقد فصل العلماء القول فيه[١٣].

أما النصب فعلم المفعولية،ومن سماه الفضلة،في المشهور من قول النحويين،فقد وهم لتضمنه جواز الحذف مع بقاء المعنى على تمامه وليس هو من الحقيقة في شيء وقد أطال المرحوم المخزومي(ت١٤١٤هـ)في بيانه[١٤].

أما الجر فهو علم الإضافة،وهو مشهور بين القدماء والمحدثين،وقد فصلّ المرحوم المخزومي القول فيه.فالاسم المجرور إما أن يكون مجرورا بحرف الجر،أو بالإضافة أوبالتبعية[١٥].وفيما يأتي سرد لنماذج من الشواهد القرآنية وبيان القراءة فيها التي قرئت بالرفع أوالنصب أوالجرّ والوقوف على اختلاف العلماء في توجيهها واختلاف إعرابها وأثره في المعنى النحوي ومعطياته التفسيرية[١٦]،مع النظر في علاقات السياق للكشف عن العلامة الاعرابية وتحقيق المعنى وقد لفت ذلك نظر ابن جني(ت٣٩٢هـ)في تحليل بعض النصوص لوضع قاعدة في الكشف عن العامل في سبيل قبول التحول من ظاهر الحكم النحوي إلى خلافه أو عكسه أو مقابله بحدود ما يؤكد المعنى.

يكون التوجيه النحوي في ضوء ما سبق،ومن قراءة المطولات في التحليل اللغوي عبارة عن تحسس الفروق الدلالية وتلمسها في الوجوه الاعرابية عصمة للمعنى المقصود وعناية به وسبق

العرب إلى العناية بمعانيهم مما أسهب الجاحظ(ت٢٥٥هـ) وابن جني(ت٣٩٢هـ)في عرض الأقوال والشواهد في عناية العرب بمعانيهم وكون اللفظ خادم المعنى والمعنى هو المشرّف،وأيّ دراسة تعمل على عرض الوجوه الاعرابية وقواعد توجيهها من دون تحصين المعاني والكشف عنها بأنواعها في ضوء ما توصل إليه الدرس اللغوي المعاصر من تقسيمات المعنى،وهي المعنى الوظيفي،والمعنى النصي والسياقي،والمعنى المعجمي والبلاغي ونحو ذلك.فالدراسة التي ليست تستحق غير منهج الجمع في التأليف وتكرار الأقوال وحسن رصفها هي التي تخلو من الكشف عن المعنى النحوي كالحال والخبر والفاعلية ونحوها مما يشرف على النص من نافذة واسعة للفهم والقراءة في تحرير المعنى التفسيري للسياق وصولا إلى النص ..

ومن ذلك قولك:(زيدٌ مررت به واقفا)قال:((فالوجه أن يكون واقفا حالا من الهاء في(به)،وقد يجوز أنْ يكون حلا من نفس زيد المظهر.ويكون مع هذا العامل فيه ما كان عاملا فيه وهو حال من الهاء،ألا ترى أنّه قد يجوز أنْ يكون العامل في الحال هو غير العامل في صاحب الحال.

ومن ذلك قوله تعالى:{وهو الحقّ مصدّقاً}(البقرة٩١)فمصدقا حال من الحقّ، والناصب له غير الرافع للحقّ،وعليه البيت:

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي وهل بدارة يا للناس من عار))(١٧)

ومن هذا النحو مجرى القول في الكشف عن إعراب قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى*نَزَّاعَةً لِلشَّوَى}(المعارج ١٥- ١٦)وفيها قراءة الرفع(نزاعةٌ للشّوى)كقولك:هذا زيدٌ منطلقٌ وهي عند الزجاج(ت٣١١هـ)أقوى من قراءة النصب،فيجوز أنْ يكون(لظى)عمل في(نزاعةً)،على طريقة ابن جني،مع أنّ العامل في (لظى)هو حرف التوكيد(إنّ).والنصب على الحال،وعرض أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧هـ) لقراءة النصب تقدير فعل وجوّز في تقديره(أعنيها نزاعة).(١٨)وفي التقدير بعد عن السياق واختلاف لجهة المعنى فتكون(نزاعة)على الخبر للفعل.

ويرى الباحث موقع الحال أجود من غيره على الرغم من رفض الفارسي النصب على الحال؛وذلك أنّه جعل العامل في الحال(لظى)من المعارف التي لا تنتصب عنها الأحوال،إلاّ بتأويل معنى أنّها معروفة بشدة التلظي والتلهب قال:((جاز أنْ تنصبه بهذا المعنى الحادث في العلم))وفي تأويل هذا المعنى نظر،لعدم الحاجة إليه؛وكونه المعنى الحقيقي للظى،ولإمكان غيره.

وبالرجوع إلى الأصل الذي قرره ابن جني مما سبق عرضه أنْ تكون(الهاء)هي العامل في الحال،أيْ:أن تكون نزاعة حال مؤكدة من الضمير في(إنّها)العائد على النار للمانع من عمل(لظى)النصب على الحال كونه معرفة،ويبقى الفرق قائما بين الرفع والنصب من حيثيات المعنى بين الخبر والحال المؤكدة.

ومنه قوله تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}(الجاثية٢١)ففي لفظ سواء قراءتان الرفع،والنصب،وقراءة النصب هي المثبتة في مصاحف المسلمين وبها نتعبدُ..

فقد عرض الأخفش(ت٢١٥هـ)لهما وتبعه من جاء بعده(١٩).فالرفع على معنى أنّ المحيا والممات للكفار؛كأنّه قال:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}ثمّ قال:سواءٌ محيا الكفار ومماتهم،أيْ:محياهم محيا سوء،وكذلك مماتهم فرفع على الابتداء.

ومن فسّر المحيا والممات للكفّار والمؤمنين فذلك على رفعه ونصبه؛لأنّ من جعل السّواء (مستوًى)فينبغي له أن يرفعه؛لأنّه اسمٌ.إلاّ أن ينب المحيا والممات على البدل.ونصب السواء على الاستواء. ويكون المعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعل محياهم ومماتهم

مستويا كمحيا المؤمنين ومماتهم. فالمعنى مختلف باختلاف العلامة الاعرابية لتغير الموقع الوظيفي للفظ.

ومن أثر الحكم الإعرابي على المعنى في التوجيه النحوي ما ذكره العلماء من الوجوه الاعرابية لقوله تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}(آل عمران١٦٩).فالفراء(ت٢٠٧هـ)على أنّ الرفع((أوجه من النصب؛ لأنّه لو نصب لكان على معنى:ولكن احسبهم أحياءً،فطرح الشك من هذا الموضع أجود ولو كان نصبا كان صوابا كما تقول:لا تظننه كاذبا،بل اظننه صادقا))(٢٠).ووجه الرفع،عند الباحث،أنّه دالٌ على الإضراب ومخالفة السابق في الحكم والموضوع فلما كان معنى السياق قبله طلب نفي الشك في كونهم أمواتا،استدعى الشأن الرفع لذكره اليقين بالإضراب عن الشك والتحول لليقين فاختلف الموضوع ولو بالعنوان الثانوي فخالف حكمه وتحول إلى الرفع.

فالرفع على معنى اليقين والنصب على الشك والتردد في كونهم على أيّ الحالين. ومنه في هذا المجرى من بيان الفرق الدلالي بين حالات الإعراب وعلاماته ما يسجل أثر التوجيه النحوي على المعنى في شرح النصوص وتحليلها اللغوي وفي تفسير الآيات القرآنية قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ*بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}(القيامة ٣-٤).في توجيه نصب(قادرين)على بيان العامل واختلافه فمن جعله على معنى تكرار العامل وهو(نجمع)،أيْ:بلى نجمعها قادرين،فالنصب على الحال من الضمير في(نجمع)بحسب توجيه الفراء في أحد أقواله والاخفش وغيرهما(٢١).وهذا التوجيه هو ظاهر السياق في التعلق بـ(نجمع)كقول القائل:أتحسب أنْ لن أكرمك؟بلى قادرا على إكرامك،أيْ:بلى أكرمك قادرا على أكثر منه.

ولكنّ الفراء لم يكفه هذا فزاد في توجيه النصب من طريق آخر فقال:وكأنّه في مثله من الكلام قول القائل:أتحسب أنْ لن أزورك؟بل سريعا إنْ شاء الله،كأنّه قال:بلى فاحسبني زائرَكُ.وهذا يعنى وقوع الفعل حسب عليه،وهو معمول لـ(حسب)وليس حالا.

وإنْ كان الفعل(حسب)وقع قد وقع على(أن لن نجمع)فيكون في التأويل عند الفراء واقع على الأسماء،وأنشد لمرار بن سعيد:(الوافر).

أجدّك لن ترى بثُعيلبات ولا بَيْدان ناجيةً ذَمُولا

ولا مُتدارك والشمسُ طفلٌ ببعض نواشغ الوادي حمولا

فيرى الفراء أنّه قال:ولا متداركٍ،فدلّ على أنّه أراد ما أنت براءٍ بثعيلبات كذا ولا بمتدارك.(٢٢)وأراه تأويلا بعيدا.لوقوع تأويلين في طريق إخراجه أحدهما تأويل الفعل بالاسم والثاني إيقاع الفعل عليه على بعده عنه بالنسبة للآية،فالقريب وقوع نجمع على قادرين وهو حال من الضمير فيه.

والمعنى في هذا التأويل سيكون بعدم إثبات القدرة بيقين لتعلقه بفعل الظنّ والشك،بينما نبه على الحال من ضمير(نجمع)المفهوم بعد(بلى)أولى لتصوره خبر اليقين بالجمع وإثباته لمن شكّ فيه وحسب(أن لن نجمع عظامه)ففيه نقض للغرض.

وهناك من التوجيه النحوي ما لا ينهض بأعباء أداء السياق للمعنى المقصود من ذلك ما نقله الفراء نفسه عن بعض النحويين قولهم:((إنّا نصبنا(قادرين)على أنّها صُرفت عن نقدر.وليس بشيء))(٢٣)،أيْ:أن تكون العبارة: بلى نقدر،ثم تحولت فصارت قادرين.وعلى هذا يلزم أنْ تكون(قادرون)رعاية لموضع(نقدر)لعدم الناصب على هذا الوجه ولذا قال الفراء(وليس بشيء).

ومن هنا يتضح ما للتوجيه النحوي من أثر في التحليل النحوي وتفسير العلامة الإعرابية للبيان عن المعنى،فمن ذلك ما رواه الجاحظ(ت٢٥٥هـ)قال:سمع أعرابيّ رجلا يقرأ:{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ*تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}(القمر١٣-١٤)قالها بفتح الكاف من (كفر)،

فقال الاعرابيّ:لا يكون.فقرأها على ضمّ الكاف وكسر الراء،فقال الأعرابي:يكون[٢٤].فالمعنى هو الذي جعل الأعرابي يرفض ويقبل.

فالآية تتحدث عن نبيّ الله نوح عليه السلام.فكان هو النعمة الهادية التي بعثها الله تعالى هدية للناس فكفروا بها وجحدوا نبوته فالقراءة بالبناء للمفعول ومعنى الجزاء في الآية ثواب.وأمّا القراءة على البناء للفاعل يكون الجزاء لقوم نوح على كفرهم والمعنى عقاب. فعلى الرغم من تعلق المعنى ببنية الفعل الصرفية فإنّ توجيه المعنى بحسب موقع اللفظ الوظيفي من الكشف عن معاني النحو من الفاعلية والمفعولية فالسياق باتجاه الحديث عن الفاعلية يكون المعنى عقاب،وباتجاه المفعولية يكون المعنى ثواب.

فالمعنى يختلف بحسب أحكام الاسناد وعلامات الاعراب ومعاني النحو ولهذا الاختلاف رسم العلماء ما يكون قاعدة في التنظير النحوي وفي ذلك قال الفراء:((كلّ فعل أوقعته على أسماء لها أفاعيل ينصب على الحال الذي ليس بشرط،ففيه الرفع على الابتداء،والنصب على الاتصال بما قبله،من ذلك:رأيت القوم قائما وقاعدا،وقائمٌ وقاعدٌ؛لأنّك نويت بالنصب القطع،والاستئناف في القطع حسنٌ،وهو أيضا فيما ينصب بالفعل جائز،فتقول:أظنُّ القوم قياما وقعودا،وقيامٌ وقعودٌ،وكان القوم بتلك المنزلة.وكذلك:رأيت القوم في الدار قياما وقعودا،وقيامٌ وقعودٌ،وقائما وقاعدا وقائمٌ وقاعدٌ،فتفسّره بالواحد والجمع...فإذا نصبت على الحال لم يجز أنْ تفسر الجمع بالاثنين – يقصد بالواحد وبالجمع-ولكن تجمع فتقول:فيها القوم قياما وقعودا.))[٢٥] ويقصد بقوله(نويت بالنصب القطع)أنّ الوصف ليس شرطا وقيدا في الفعل قبله،أيْ: أنّ حدوث الفعل لا يتوقف على تحقق الشرط حتى كأنّه لا يكون عند عدم الوصف، وهذا في حقيقته العلمية شديد الصلة بالمعنى وطرق التنظير في الكشف عنه.

ويفهم من صريح هذا النص أنّ المعنى الوظيفي هو المتسلط مركزية العلامة الاعرابية في الدلالة عليه وفي الكشف عن معنى الكلام من خلال تقسيم الحالات التي يجوز فيها الوجهان،بحسب الدلالة على المعنى المقصود في الكلام وهو كونه حالا عارضا بالنسبة للوصف قد يكون وقد لا يكون فليس بشرط.

((وأمّا الذي على الشرط مما لا يجوز رفعه فقوله:اضرب أخاك ظالما أو مسيئا، تريد اضربه في ظلمه وفي إساءته.ولا يجوز هنا الرفع في حاليه؛لأنّهما متعلقان بالشرط.وكذلك الجمع،تقول:ضربت القوم مجرّدين أو لابسين،ولا يجوز مجردون ولا لابسون،إلاّ أنْ تستأنف فتخبر،وليس بشرط للفعل،ألا ترى أنّك لو أمرت بضربهم في هاتين الحالين لم يكن فعلهم إلاّ نصبا،فتقول:اضرب القوم مجرّدين أو لابسين؛لأنّ الشرط في الأمر لازم.وفيما قد مضى يجوز أنْ تجعله خبرا،وشرطا.فلذلك جاز الوجهان في الماضي))[٢٦]ومعنى الشرط اللازم أنّ الحدوث متوقف على تحقق الوصف من الحال بما هو وصف الهيأة.

وبعد هذا البيان يبقى للحكم الإعرابي من جواز الوجهين بملاحظة علاقات الاسناد وخصائص الاعراب في الرمز على المعنى تفصيلٌ يكون بالشكل الآتي:

١ ـ بين الحال والخبر: قال تعالى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمنوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(الأعراف٣٢).قرأ نافع بالرفع:(خالصةٌ).وقرأ الباقون بالنصب:(خالصةً).والحجة في ذلك أنّ رفع(خالصةٌ)على كونها خبرا لـ(هي)،من قوله:(قل هي للذين)ويكون قوله:(للذين آمنوا) تبيينا للخلوص[٢٧]،ويجوز أن تكون خبرا ثانيا لـ(هي)،كما تقول:(زيد ماهرٌ مجتهدٌ)ويكون زيد رفع(ماهرٌ مجتهدٌ)على ما ذهب إليه النحويون مما هو مبسوط في مظانه.

وإنْ كان الأصوب فيما أرى أنْ:يقال الابتداء رفع زيد والإخبار رفع(ماهرٌ مجتهدٌ) فتكون(هي)رفعت على كلام النحويين لـ(خالصة)،وفي النصب تكون حال من(هي) والأظهر أنْ تكون حالا من زينة الله،والعامل فيها،عندي،معنى الحال.

ومن هنا يكون(للذين آمنوا)خبرا،و(خالصةٌ)خبرا آخر،وحينئذ يصبح المعنى:قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة[٢٨].والقراءة بنصب(خالصةً) على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور،من عبارة(للذين آمنوا) وحروف الجر تعمل في الأحوال إذا كانت أخبارا عن المبتدأ؛لأن فيها ضميرا يعود على المبتدأ،والعامل في الحال ما في لام الجر من معنى الفعل[٢٩]

ويرى الخليل(ت١٧٥هـ)النصب على تمام الكلام كما تقول:(هي لك نحلةً)كما تقول: أنحلها نحلة،ويرفع عنده بـ(هي)على تقدم الكلام على خبره وذلك على تفسير إعرابه(هي نحلة لك)،و(هي خالصة للذين آمنوا)بينما يرى سيبويه(ت١٨٠هـ)في تفسير إعراب الآية وبنائها النحوي على مثال من قولنا:(فيها عبد الله قائمٌ)و(هو لك خالصٌ)على إلغاء الجار والمجرور قال:((ومثل قولك فيها عبد الله قائما،هو لك خالصا،وهو لك خالصٌ كأنّ قولك(هو لك)بمنزلة أهبه لك/ثمّ قلت: خالصا.ومن قال : فيها عبد الله قائم قال هو لك خالص فيصير(خالص)مبنيا على هو كما كان قائم مبنيا على عبد الله فيكون عمدة و(فيها)لغو إلا أنّك ذكرت فيها لتبيّن أين القيام،وكذلك لك إنما أردت أن تبيّن لمن الخالص وقد قرئ هذا الحرف على وجهين:(قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)بالرفع والنصب))[٣٠]،فجعل حرف الجر لغوا في قراءة رفع (خالصة)وبمعنى(مستقرا)في قول من نصب(خالصةً).

ويكون المعنى فيما يرى الباحث على قراءة النصب من الآية(هي للمؤمنين خالصةً)فيتم المعنى ويفيد فائدة يحسن السكوت عليها بعبارة(هي للمؤمنين)وتكون خالصة نصبت على بيان الحال.

وعلى قراءة الرفع يكون المعنى(هي خالصةٌ للذين آمنوا/للمؤمنين)والرفع على أنها خبر الضمير(هي)وحكم شبه الجملة الإلغاء في شغل الموقع الإعرابي(المعنى الوظيفي)مع الاحتفاظ بالمعنى السياقي بأنّها بمعنى(مستقرة)ولا أقول بالتقدير وهو في ذلك(الجار والمجرور)من الآية كحكم(فيها)من تمثيل سيبويه:(فيها عبد الله قائم/ وعبد الله فيها قائمٌ) بما يجري مقياسا لغيره في تحليل البناء اللغوي.

وللباحث نظر في مصطلح الإلغاء واللغو في تفسير الموقع الإعرابي لشبه الجملة وتفسير المعنى الوظيفي فلو جعل شبه الجملة خبرا أولا وخالصة خبرا ثانيا لكان في غاية الحسن لاحتفاظ العبارة بموقعها الإعرابي ومعناها الوظيفي لعقيدتي بوجود التلازم بين الموقع الإعرابي والمعنى الوظيفي بما يكون مجالا لإعطاء المعنى السياقي في النص.من ذلك لفظة(خالصة)التي تعود على(زينة الله)،و(الطيبات من الرزق)إذْ اشتملت على كلّ مبهج مما يكون ترغيبا،زيادة في أنّها اختصرت معنى كبيرا من معالم الدنيا من الزينة والرزق،فالتعبير بـ(خالصة)على الرفع يلائم معنى الترغيب من استقرار ذلك لهم من الله تعالى،والخبر أعمق في الدلالة على الثبات من النصيب فأمكن تصور ما قد يخطر على النفس وتستريح له العين بعد أن أكدت خلوص هذه النعم ،وقراءة النصب جعلتها على الخلوص والتهذيب من كلّ ما يكون تكديرا لها من المحرمات ونحوها ولاشك أنّ قراءة النصب أضيق في مساحتها الدلالية على المعنى ومعطياته التفسيرية،وهو ما عليه التفسير.[٣١] .

وهكذا قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأحقاف١٤)في الوضوح من دلالة الموقع الإعرابي من نصب(خالدين)في بيان الحال وتمام الكلام عند فرض إسقاط(خالدين)وقد يجوز الرفع لو قُرأ على أنّه عمدة لايتم الكلام من دونه وذلك راجع إلى قصد المتكلم والقارئ في إجراء الكلام على الخبر عن كونهم فيها خالدين. فعندما يقصد به الخبر فلا

يصحّ نصبه وعند قصد بيان الحال فلا يمكن رفعه وهذا من أساليب الكشف عن المعنى الوظيفي الذي يفتح آفاق النص أمام الفهم عند التلقي.

ومنه قوله تعالى:{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}(الحشر١٧)وقوله{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}(الجن٢٣).

ولا بدّ من بيان أثر(النصب)على المعنى في قوله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ*خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}(هود١٠٦- ١٠٧)،أيْ:حالهم الدوام وجملة(مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)بمثابة دائمين فتصح بدلا من خالدين،ونحو ذلك مما عرج على تفسيره العلماء قال أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)خالدين حال،وما مصدرية ظرفية،أيْ:مدة دوام السموات والأرض،والمراد بهذا التوقيت التأبيد(٣٢).ويجوز أن تكون حال مؤكدة ثانية،وعلى معنى التوقيت تأكيد واستغراق للخلود،كأنّه قال خالدين فيها أبدا أو دائما وفي هذا تهويل عذاب النار بما هو أغلظ.

فالنصب إشارة للدوام بدليل ما جاء بعد(خالدين)بينما يكون الرفع مجرد الخبر الذي يحتاج في تأكيده إلى ما بعده وهو(مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ).لو كانت العبارة مثلا:خالدون فيها مادامت السموات والأرض.

وكذلك قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}(هود١٠٨)

ومن شواهد كونه عمدة قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة٢٥)فقوله (خالدون)عمدة مقصود ببناء العبارة ليكون الخبر.ومنه قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة٢٧٥،٢٥٧،٨٢،٨١،٣٩،آل عمران١٠٧، ١١٦)وهو يفيد الخبر المحض من تأكيد للحال التي تُشعرنا بالدوام المؤكد للتهويل.

أمّا قوله تعالى:{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}(٣٣)فالضمير(هم)والظرف(فيها)ملغى و(خالدون)عمدة ولو قرئت بنصب(خالدين) لكان ملغى والعبارة(هم في العذاب/فيها خالدين)على بيان الحال .

ومن هنا تكون العلامة الإعرابية علامة فارقة بين المعاني وبحسب قصد المتكلم وفهم القارئ من حيث تكون القراءة دليلا على ما فهمه القارئ وعليه قرأ،ويكون جواز القراءة بالرفع والنصب على اختلاف المعنى وهو ما تكون فيه مشروعية القراءة راجعة لتحقيق المعنى المقصود بالنسبة للمانعين غير القائلين بحجيتها.

وما ذهب إليه بعض المفسرين من دلالة قراءة النصب لتأكد كونها ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة(٣٤)غير دقيق لانتفاء دلالة النصب عليه بل الرفع يدل على الثبات بحسب ما اشتهر بين العلماء والدارسين.

وتجدر الاشارة في هذه المسألة إلى أنّ للباحث نظرا فيما اشتهرت عند الكوفيين بالنصب على الحال أو الرفع بالقطع والاستئناف وخرجوا عليه الشواهد الكثيرة من القرآن الكريم وكلام العرب وذلك نحو ما فعل الفراء في قوله تعالى:{قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}(آلعمران١٣)فروى النصب في(فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ)فقال:((قرئت بالرفع،وهو وجه الكلام على المعنى:(إحداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة)على الاستئناف كما قال الشاعر:

فكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى فيها الزمان فشلّت

ولو خفضت لكان صوابا جيدا:تردّه على خفض الأوّل كأنّك قلت:كذي رجلين:كذي رجل صحيحة ورجل سقيمة.كذلك يجوز خفض الفئة والأخرى على أوّل الكلام.))[٣٥]وذلك كله توجيه ملحوظ فيه حيثيات العامل وتفسير العلامة الاعرابية بحسبه، فرفع رجل كرفع فئة على الاستئناف والجر يمكن فيه البدلية وعطف البيان.وحسُن الاستئناف للتفصيل بعد الاجمال.

وأمّا النصب فعلى الحال من ضمير المثنى المؤنث في(التقتا)قال الفراء:((ولو قلت: (فئةً تُقاتلُ،وأخرى كافرةً)كان صوابا على قولك:التقتا مختلفتين.وقال الشاعر في مثل ذلك مما يستأنف:

إذا متُّ كان الناس نصفين شامتٌ وآخرُ مُثن بالذي كنت أفعل

ابتدأ الكلام بعد النصفين ففسّره.وأراد:بعضٌ شامتٌ وبعضٌ غير شامت.والنصبُ فيهما جائزٌ،يردّهما على النصفين.وقال الآخر:

حتى إذا ما استقلّ النجمُ في غلس وغودر البقلُ ملويٌّ ومحصودُ

ففسّر بعض البقل كذا،وبعضه كذا.والنصبُ جائزٌ))[٣٦]،يقصد جواز النصب على الحال في(ملوي ومحصود)،ونصب شامت على الوصف والتبعية لخبر كان.

٢- تقديم خبر(ليس)ومجيء اسمها مصدرا مؤولا مؤخرا.

جرت عادة السلوك اللغوي في التعبير أنْ يكون اسم ليس بعدها ومن ثمّ يأتي الخبر؛لكنّ للتعبير القرآني مقتضياته بحسب المعنى المقصود في مخالفة هذا العرف اللغوي الذي تحكمه العادة بقدر ما يسد الحاجة الاعتيادية للسلوك اللغوي وقد جرت عليه عادة العرب في التعبير عن المعاني الفنية في الشعر ورسم له علماء العربية القاعدة النحوية ،ويعد كتاب سيبويه من الكتب الأولى في علم النحو،ويحتوي،أيضاً، على لمحات بلاغية لم يسبقهُ أحدٌ إليها من ذلك ذكرهُ لموضوع التقديم والتأخير في مواضع عديدة وإشارتهُ إلى الغرض منه في قوله:((كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[٣٧]،وقد بيّن سيبويه أنَّ غرض التقديم الاهتمام،فهم يقدمون الأهم عندهم وهذا غرض بلاغيّ انتبه إليه سيبويه من خلال عرضه للتراكيب النحوية.

وللتقديم والتأخير تأثيرٌ على نظم الكلام وسياقهِ وعلى الجملة وما تتكون منه من مسند ومسند إليه ينتمي إلى عنوان هو أحد أساليب بناء الجملة العربية،فذلك مثار تساؤل في سبب اختيار هذه اللفظة من دون غيرها من مرادفاتها ومثيلاتها مما يؤدي معناها ولماذا أخذت مكانها في الجملة الاسنادية فتقدمت أو تأخرت؟

وهذا كله من دواعي النظم ودلالته وأثره على اللفظ وقدرته على أداء المعنى وإيحاءاته بالخفيّ منه فإنّ نظم الألفاظ بحسب المعنى،قد يقتضي أنْ تقدم المسند تارة وتؤخره تارة أخرى[٣٨] .

فمن ذلك أنْ يتقدم خبر(ليس)على اسمها لتحقيق أغراض بلاغية كالتخصيص وبيان أنّ المقدم خبرٌعلى حدّ الإخبار من دون تحقق الاتصاف،فيقدم للاهتمام به والالتفات إلى مضمونه، وذلك خاصٌّ بـ(ليس)؛لأنّها أضعف من(كان)ولأنها تتصرف ولا يجوز تقديم خبرها عليها،ولأنّها أقوى من(ما)؛لأنّ(ما)حرفٌ ولا يجوز تقديم خبرها على اسمها فجعلت لـ(ليس)منزلة بين منزلتي(كان،وما)على حدّ تعبير أبي البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ)فلم يجز تقديم خبرها عليها نفسها لتحط عن درجة (كان)ويجوز تقديم خبرها على اسمها لترتفع عن درجة(ما)[٣٩]؛ذلك أنّ (ما)ينتقض نفيها بتقدم خبرها على اسمها،ويتأكد في خبر(ليس)المقدم.

ومنه قوله تعالى:{لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...}(البقرة١٧٧) قرأ بها حمزة وحفص(ليس البرَّ)بالنصب وقرأ الباقون(ليس البرُّ)بالرفع وقرأ أبيّ،وابن مسعود(ليس البرَّ بأن تولوا)بنصب(البرّ)واتصال الباء بـ(أنْ والفعل)[٤٠].

والحجة في ذلك أنّ الأصل في باب(كان وأخواتها)مجيء الفعل الناقص ثمّ اسمه وخبره.ولما كان مقتضى القسمة التعريف،أو التنكير،أو المخالفة من هذه الجهة كان موضع الاختلاف في التوجيه النحوي مجيء اللفظين في الآية محل البحث معرفتين (فالبرّ)معرفة و(أن تولوا)معرفة أيضا لتأويله بالمصدر بمعنى(التولية) فأيهما يكون المبتدأ(الموصوف)وأيهما(الوصف)الخبر.

فالنصب على أنّ(البرّ)هو الخبر و(أن تولوا)الاسم لأنّ((أنْ والفعل بتأويل المصدر فشابه المضمر في البناء،وفي عدم الوصف،وفي الافتقار إلى مفسر،لأنهما يفسران بالمصدر، والمضمر يفسر بالظاهر،فكانا لذلك أحق بالاسم كالمضمر))[٤١] والأصل قاض أنه إذا اجتمع مع (كان وأخواتها)مضمر ومظهر،فالمضمر هو الأصل ،لأنّه اعرف فلما كانت(أن)وصلتها كالمضمر،كانت أولى أن تكون هي اسم ليس ولأنّ الضمير اعرف المعارف،كان الأعرف أولى أن يكون هو اسم ليس أيضا،لأنه هو المخبر عنه،ولا يخبر إلا عن الأعرف دون الأنكر[٤٢].

وبملاحظة أنّ التخصيص أحد أغراض التقديم والتأخير،أيْ: تخصيص الخبر بالمبتدأ،فإنّنا إذا قدمنا الخبر خصصناهُ بالمبتدأ،أمّا إذا بقي الخبر متأخراً كقولنا (زيد قائم)فإنّا لم نخصص شيئاً لزيد،ولكنْ..عند إرادة إثبات أنَّ زيداً قائم لا قاعد، فتقديم(زيد)توكيد وإثبات لا تخصيص،أما إذا قدمنا(قائم)على(زيد)وقلنا:(قائم زيد)فقد أثبتنا له القيام وليس لغيره من الناس،ولهذا الغرض من قصد المعنى الخاص قُدم الخبر.

وهو ما عليه علماء المعاني كابن الأثير(ت٦٣٧هـ)والعلوي(ت٧٤٩هـ):انّ في(قائم زيد) إثبات القيام له دون غيره من الناس،وفي قولنا(زيد قائم)تردد في إثبات القيام له والمعنى في شكّ وتزلزل على ما ذكره العلماء[٤٣].

وإذا كان ذلك فإنّ المعنى على تقديم خبر ليس نفي تخصيص البرّ في كونه(أنْ تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)هذا ما عليه الباحث في تفسير بناء الجملة وتركيبها النحوي ودلالتها على المعنى المقصود.

ويشكل أنْ تتصل الباء باسم ليس ما حمل ابن مجاهد على إنكار النصب في (البرّ)في قراءة أبيّ وابن مسعود[٤٤]،لكنّ ابن جنيّ(ت٣٩٢هـ)أجاز النصب واتصال الباء باسم ليس على أنّها زائدة كالباء في نحو:(كفى بالله)أيْ: كفى الله ومنه قوله تعالى:{كفى بنا حاسبين}(الانبياء٤٧)أيْ: كفينا،قال:((فكذلك(ليس البرّ بأن تولوا)بنصب البرّ كما في قراءة السبعة))[٤٥]ويقصد السبعة بنصب(البرّ)وهذا- اتصال الباء باسم ليس- ما وصفه ابن هشام بالغريب[٤٦]وقياس ابن جنّي فيه بعيد فلو اتصلت الباء به لتعين كونه خبرا وتعينت الحجة في قراءة الرفع وما عليه الباحث أنّ قراءة الرفع باتصال الباء صحيحة من حيثيات صناعة النحو،كقوله تعالى:{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(البقرة١٨٩)

لكنّ جهة المعنى مختلفة بقدر ما يجعلها متنافرة مع موضوع السياق من البيان القرآني ومن هنا لا وجه لما فعله الزجاج(ت٣١١هـ)من التسوية بين القراءتين من حيث المعنى والصناعة[٤٧] فكيف يكون(ليس البرُّ توليتكم المسجد)مثل (ليس توليتُكم المسجد البرَّ)فالفرق بينهما يكون بالصورة الآتية من الاستعلام:ففي الجملة الأولى (أين يكمنُ البرُّ؟جوابه:البرُّ توليتكم المسجد) وفي الثانية(هل في توليتنا المسجد البرّ)جوابه:ليس توليتُكم وجوهكم المشرق والمغرب البرَّ بلْ البرُّ هو الإيمان بالله،واليوم الآخر فالسياق مبنيّ للخبرعن جهات البر،وتوصيفها،ونفيه عن كونه التولية للمسجد قبل المشرق ومعنى(ليس)تنفي خبرها عن كونه وصفا لاسمها مما يترجح معه

قراءة النصب والغرض من التقديم الاهتمام والالتفات للمنفي المطلوب تحيله من توجههم قبل المشرق والمغرب طلبا للطاعة.

أما الرفع فعلى الأصل من ترتيب الكلام،ولو نصب(البرّ)لوجب أن ينوى بـ(البرّ) التأخير،فالبقاء على الرفع أولى[٤٨].وذلك في رأي الباحث لوقوع المصدر المؤول بمثابة الوصف للبرّ ولا يكون الاسم الموصوف خبرا عن الوصف.

والذي يراه الباحث في هذا المقام أنّ قراءة النصب أليق بمقام البيان بملاحظة الصناعة النحوية وتحقق الفائدة في التقديم من الحصر والانتباه والاهتمام بالمتقدم زيادة في أنّ تقديم خبر ليس على اسمها لايبطل معناها في النفي،ولا يتناقض مع قواعد صناعة النحو.

فالنصب أليق بملاحظة موضوع السياق الذي وردت فيه هذه الآية من بيان صفة السلوك والخبر عنه أهو من البرّ أم لا؟ولذلك فقراءة النصب أحبّ إليّ لاتساق المعنى (ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق برّا بل البرُّ كذا وكذا)والدليل على ذلك قوله تعالى في تمام الآية محل البحث{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(البقرة١٧٧)فالسياق نفي الخبر عن السلوك من تولية الوجوه وهو البرّ وتقرير أنّ البرّ هو الإيمان بالله ورسله وكتبه ومساعدة الفقراء ونحو ذلك من أفراد موضوع الآية،فبحث الآية في هذا الموضع بملاحظة المعنى وليس بملاحظة تعدد القراءة فيها.

وقد يرى بعض العلماء ما يقوي قراءة الرفع ورود القراءة الشاذة فيها المروية عن عبد الله بن مسعود،وأُبَيّ(ليس البرُّ بأن تولوا)[٤٩]بزيادة(باء)كون الثاني خبرا والباء تدخل على الخبر.وينقضه قراءة النصب وزيادة الباء فيما هو اسم ليس بشرط أنْ يتأخر ويتقدم عليه خبرها أيْ:بنصب البرّ على الخبر،وزيادة الباء في اسمها.وهو ما جعله ابن هشام من الغريب[٥٠]

وهو من جهة الصناعة سليم غير أنّه يخالف المعنى المعطى من طبيعة البناء اللغوي الأصل في المشهور بين المسلمين والتعبد به.فأرى أنّ القصد على بناء الرفع يختلف عنه في النصب ففي النصب نفي التولية أن تكون من البرّ ويقوي هذا المعنى المعطى من جهة إحكام العلاقات النحوية فهو معنى نحوي يقويه قرائن السياق في الحديث عن الإيمان بالله وبالتنزيل وتوليه ونحو ذلك من قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(البقرة١٧٦-١٧٧)ومن هنا تحتل العلامة الإعرابية بوصفها قرينة لفظية مكانة كبيرة في إدراك عناصر الجملة وتبقى دليلا قادرا على فرز العناصر النحوية ولاسيما في ظاهرة التقديم والتأخير حتى ترق لتكون رمزا في الاستسلام لمعطيات النحو التفسيرية[٥١].

وباعتماد بعض مرجعيات النص كسبب النزول يتبين أن الحديث في أهل الكتاب الذين أكثروا الخوض في أمر القبلة حين أمر الله سبحانه نبيه بالتوجه إلى الكعبة من قوله تعالى:{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}(البقرة١٤٤)فكان الحديث عن التولية وهي التوجه فيترجح كون البر وصفا لها وما منشأ الخلاف في القراءتين إلا بسبب تحكيم قواعد النحو وفلسفة الرتبة فيه وتغليبها على خصائص المعنى الموضوع له هذا القدر من البناء النحوي، بملاحظة سبب النزول أنه زعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته[٥٢]، فنزلت هذه الآية ردا عليهم[٥٣].والمقصود نفي

اختصاص(البر)بشأن القبلة مطلقا،إنما البر تصور وشعور وأعمال وسلوك،يجسده المرء في واقعه العملي،فالبر(الإيمان بالله)،(واليوم الآخر)،(والملائكة)،(والنبيين)،(وإيتاء المال)،(وإقامة الصلاة)،(وإيتاء الزكاة)،(والوفاء بالعهد)،(والصبر على البأساء والضراء).ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب.

فربما يُتصوّر في قراءة الرفع(ليس البرُّ)كل مضامين قراءة النصب،لكنَّها مع ذلك تعدم معطيات خصائص التقديم من الاهتمام بالمتقدم والعناية به،وهي بذلك تقعد عن تأدية ما أفادته قراءة النصب المثبتة في الكتاب التي نتعبد به اليوم.

٣- النصب على الاستغناء والفرق بينه وبين الرفع:

يتحرى علماء العربية الأوائل الأصل الذي قرروه من الاصطلاح على ما يسمى كلاما عند إفادته معنى يحسن السكوت عليه ولم يكن هذا الأصل النحوي مجرد صفة ضابطة لمصطلح الكلام بل يوجد ما يؤكده في التطبيق النحوي بما يترسم طريق المعنى في التحليل اللغوي للسياق من الشواهد القرآنية ونحن نريد أن نتحرى خصائص التحليل اللغوي والتوجيه النحوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي لبيان درجة ميل النحويين بعد الخليل وسيبويه في توجيه الشاهد القرآني في الدرس النحوي وتحليله فهذا الخليل يعقد بابا في النصب على الاستغناء وتمام الكلام ويبدأ فيه بعرض النصوص من القرآن الكريم لتفسير الحركة الإعرابية للفظ . وبملاحظة المعنى فرعوا مسألة جواز النصب على الحال والرفع على الخبر فيما سبق بيانه.

من ذلك قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ}(الطور١٧) ففسر نصب(فاكهين)على الاستغناء وتمام الكلام على حدّ تفسيره نصب(نحلة) على تمام الكلام وإمكان الاستغناء عنها مع تمام المعنى صياغة ومعنى وعلى هذا يكون الموقع الإعرابي لـ(فاكهين)النصب على معنى الحال فالمتقين اسم إنّ وشبه الجملة الخبر والكلام تامٌ مستغن عما بعده،فعبر الخليل أنّه نصب على الاستغناء وتمام الكلام. (٥٤)

ولو رفع(فاكهين)لكان المعنى على الخبر(إنّ المتقين فاكهون في جنات ونعيم)لبيان معنى الاستقرار من(معنى الظرف)في شبه الجملة مما سبق بيانه في تفسير سيبويه للإعراب.فالمعنى تام وصياغة الكلام من جهة الصناعة النحوية كاملة حتى ليمكن الاستغناء عن(فاكهين)من جهة الصناعة في البناء اللغوي للسياق والموقع الإعرابي مع بقاء المعنى الوظيفي وهو(الحال).

ويبدو للباحث أنّ المقصود بالاستغناء هذا القدر من عدم ملاحظة الموقع الإعرابي بما هو عمدة في الكلام ولا يمكن الاستغناء عنه مع تمام المعنى(السياقي)في قصد المتكلم ولايحتاج للمنصوب في تعيين المعنى الوظيفي لوضوحه وتمامه ولذا فهو مستغن عما يأتي بعده بخلاف العمدة مبنية على ما يأتي بعدها وهو مبنيّ عليها بحسب تعبير سيبويه في التعبير عن علاقة الإسناد.

ومثل هذا التحليل اللغوي عند الخليل يجري تفسير سيبويه على أنّ المنصوب على الصفة ولاشكّ أنّه يقصد الحال وهو الصفة التي يكون عليها صاحب الحال.وعلى هذا النحو فسّر قوله تعالى(آخذين)موضحا ذلك بقياسه على ما لايستغنى عنه. (٥٥)

ومنه قوله تعالى{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ}(الذاريات١٥-١٦)وقوله{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ}(الشعراء١٤٩)فكلّ ذلك عندهما- الخليل وسيبويه- على الاستغناء وتمام الكلام،فنصب(آخذين)على الاستغناء وتمام الكلام؛لأنّك إذا قلت:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)ثمّ سكتَّ. فقد تمّ الكلام واستغنى عمّا يجيءُ بعده.فنصبَ ما يجيء بعده على الاستغناء عند الخليل وعلى الحال بما هو فضلة عند سيبويه،وكذا القول في(فارهين). (٥٦)

ويبدو للباحث أنّ العلة في النصب الإشارة إلى معنى جديد يختلف عمّا سبقه لزيادة في الإحاطة من الترف في الإخبار فلو حذف لم تتأثر صورة الخبر من حيث الصناعة،ولم ينقص من معناه شيء.

ونحوه قولك:(إنّ زيدا في الدار قائما).فإذا قلت:(إنّ زيدا في الدار)وسكتّ كان كلاما تاما فلما استغنيت عن(القائم)نصبتَ فقلت: قائما.وأما قوله{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}(الزخرف٧٤-٧٥) فإنّه رفعٌ على خبر(إنّ)؛وذلك أنّه مقصود في الخبر على معنى الخلود وتمام الكلام في التبليغ بخلود المجرمين وليس تمامه بكونهم في نار جهنم بل كونهم (فيها خالدون).

وإنّ المعنى المقصود من بناء العبارة على هذا النحو لايتمّ بنصب الخالدين لعدم الاستغناء عن معنى الخلود فكان رفعه للدلالة على كونه عمدة كما لم يتم المعنى لو حذف(في جهنم) ،فالمعلوم كون المجرمين في نار جهنم لكنّ الفائدة تمت بلفظ(خالدون)ومثله قوله تعالى{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}(يس٥٥-٥٦)فرفع(فاكهون)ورفع(متكئون)على المعنى من قصد كونهما العمدة وكونهما خبرا يطلب العلم به وهو ما صرّح به الخليل من كون الكلام لايتمّ من دون لفظ(فاكهون)و(متكئون)على الرفع.(٥٧)ويمكن على هذا النحو من التحليل أنْ يكون(في جهنم)،و(خالدون)خبرين لعدم تمام المعنى المقصود بواحد منهما مع الاستغناء عن الثاني.

وفي غاية الحسن ما ذهب إليه ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)من كون العبارة مبنية على تشوق السامع بعد التفصيل السابق على هذه الآية مما يكون عليه حالهم فأخبر بأنّهم في جهنم وأنّهم خالدون فيها لايفتر عنهم العذاب.(٥٨)

وأمّا قوله تعالى:{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(الدخان ٤-٦)فقد نقل الزجاج(ت٣١١هـ)أنّ قوله:(أمرا)وقوله: (رحمة)منصوبان على الحال من الضمير في حكيم(٥٩)وذلك بعد تمام المعنى المقصود من الخبر واكتمال السياق ليكون كلاما مستغنيا عن الزيادة.

ويرى الباحث ثمة وجها في الآية لعله أصلح مما نقل الزجاج وهو نصب(أمرا)على كونه مصدرا والمعنى:(أمرنا أمرا)ونصب(رحمة)باسم الفاعل(مرسلين)وجمال ذلك لاتصال السياق وعدم الحاجة إلى التقدير وتعدد الوجوه(٦٠)

ويرى الباحث أنّه لو نصب قارئ(خالدون)قياسا على فاكهين،وآخذين لم يجز،ولم يكن معناه من القرآن وذلك لقصد الكلام بالخبر عن خلودهم وليس عن كونهم في عذاب جهنم وحكم الخبر بالوصف(فاعل)الدوام والنصب سيجعل درجة الانحراف كبيرة لتغيرها مما يُخدش معه الأصل في حكم الخبر وهو الترهيب،والله تعالى العالم.

ومنه،أيضا،مما كان شاهدا نحويا للخليل في التوجيه النحوي للنصب وتحليله اللغوي قوله تعالى:{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}(يس٥٥) فرفع(فاكهون) لأنّه خبر(إنّ)ولأنّ الكلام لا يتمّ من دونه.(٦١)

ويرى الباحث تفريعا على ما سبق من توجيه الخليل وسيبويه للشاهد القرآني في التحليل اللغوي، أنّه يمكن في قوله تعالى{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}(يس٥٦)رفع (مُتَّكِئُونَ)على الخبرلـ(هم)في القراءة المثبتة في المصحف الذي يتعبد به المسلمون اليوم.

وهذا يعنى أنّ القصد من بناء السياق على رفع(مُتَّكِئُونَ)كونه الخبر المراد إيصاله بحسب حكمة الترغيب لما للاتكاء على الآرائك من تحفيز نفسي لما تحمل من الراحة والارتياح

الكبيرين ولما فيه من الوقار والهيبة ما ليس في الظلال والآرائك لتعدد استخداماتهما من النوم والوقوف وجلوس الانتظار.

لكنّ أحادية الدلالة في(مُتَّكِئُونَ)جعلته مقصودا بنفسه ليكون الخبر فلو قلت:(هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ مُتَّكِئُونَ)لتحقق الغرض ولكنّ حكمة بناء السياق من رسم صورة الترغيب وتعميقها جرى ذكر الظلال والأرائك.

ويمكن نصب(مُتَّكِئُونَ)على الاستغناء وتمام الكلام لكن درجة الميل عن المعنى كبيرة لإمكان تصور ثنائية المعنى من كونهم في الظلال وعلى الأرائك.

ومن الشواهد الشعرية في هذا مما يكون فيه التعبير القرآني على مساق كلام العرب وبلغتهم،وما يبرهن في منهج الدرس النحوي عند الخليل أنّه يؤكد القاعدة النحوية التي تبنى بحسب خصائص الاستعمال القرآني بالشواهد الشعرية فقد جعل هذا الباب جميعه مبنيا على الشاهد القرآني ثمّ برهن علي اطّراده في التوجيه النحوي وامتحان قواعد التحليل اللغوي بعرضه على كلام العرب .فأورد في إمكان النصب في(مُتَّكِئُونَ)شاهدا على النصب على الحال والاعتماد على الجار والمجرور في كونه الخبر،وذلك قول الشاعر:(الطويل)

وإنّ لكمْ أصلَ البلاد وفرعَها فَلَلْخيرُ فيكُم ثابتاً مبذولا[٦٢] .

قال الخليل:نصبت(ثابتاً مبذولا)على الاستغناء وتمام الكلام[٦٣]والذي عليه سيبويه جواز الوجهين بحسب قصد المتكلم إنْ أراد الفائدة وبنى المنصوب في نحو(ثابتا)من البيت الشاهد على المبتدأ وجب الرفع في نحو:(عبد الله فيها قائمٌ)إذ جعل الرفع على أنّ الجار والمجرور لغوٌ على حدّ تعبيره، ويجوز في(قائم)النصب على تغيير جهة المعنى أن تكون شبه الجملة عمدة وليس لغوا(وقائم)حال فضلة وعليه قوله تعالى:{قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(الأعراف٣٢)أجاز فيه سيبويه الرفع والنصب في(خالصة)كما هو كذلك في(قائم)فالنصب على الحال،ولكنّ الرفع بملاحظة أنّ الجار والمجرور لغوٌ فما الحاجة لذكره؟

أجاب سيبويه في أنّه تبيينا قال:((ومثل قولك:فيها عبد الله قائما،هو لك خالصا، وهو لك خالصٌ...ومن قال:فيها عبد الله قائمٌ قال:هو لك خالصٌ. فيصير خالص مبنيا على(هو)كما كان قائم مبنيا على عبد الله.و(فيها)لغوٌ إلاّ أنّك ذكرت(فيها)لتبين أين القيامُ؟وكذلك(لك)إنّما أردت أنْ تبيّن لمن الخالص وقد قُرئ هذا الحرف – يقصد الآية:هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً - على وجهين...))[٦٤]وما يراه الأعلم الشنتمري(ت ٤٧٦هـ)من أنّ الرفع أحسن[٦٥] في تفسير موضع الشاهد من قول الشاعر (ثابتا مبذولا)تحسينٌ يفتقر لما يسوغه لاختلاف جهة المعنى بين الرفع والنصب إلاّ من اتصاله بكونه عمدة مقصودة في كلام المتكلم من بيان أنها خالصة لهم،وأنّه قائمٌ فيها.وهذا المعنى غير مقصود للمتكلم في حال النصب.

والذي ترشح في فهم الباحث لمذهب سيبويه النحوي في هذه المسألة أنّ العمدة عنوان يقع على ما يتم به المعنى وما بعده يصلح أنْ يقع عمدة وصفا آخر ويمكن أنْ يكون توصيفا لحال المخبر عنه . ولما كان(فيها)هو الخبر من قوله:(عبد الله فيها قائما)اكتمل نصاب الجملة لتكون كلاما يحسن السكوت عليه وكون المطلوب الكشف عن وجود عبد الله وليس عن كيفية وجوده والدليل على هذا الكلام أنّ المخاطب يسكت على هذه الجملة(عبد الله في الدار)؛ذلك أنّ استفهامه طلب للكشف عن موقع وجوده وليس عن كيفية ذلك الوجود .ولو كان عن الكيفية لكان الجواب:(هو فيها قائم)،ولم يصح أنْ تكون الجملة(هو فيها)؛والعكس غير صحيح أي: لو كان السؤال عن موقع الوجود صحّ الجواب:(هو فيها)وكذا(هو فيها قائما)للإفاضة في الخبر.

فلما كانت جملة(هو فيها)تنطوي على الفائدة نصب على الحال لبيان كيفية الوجود فيها.وهكذا الأمر بالنسبة لنصب(خالصة)من الآية محل البحث،وكذلك نصب(ثابتا مبذولا)في البيت الشاهد.

فالنصب على معنى(هي للمؤمنين خالصةً)لاكتمال المعنى بالموصول وصلته من الآية،ويتأكد هذا المعنى في فهم الباحث للمسألة في البيت الشاهد لتعليق النحويين الجار والمجرور بـ(مستقر)فذلك آكد في اكتمال المعنى فيكون ما بعده منصوبا على الحال فالخبر في قصد الشاعر عن كون الخير ثابتا مبذولا،أم كونه مستقرا فيهم.

وقل مثل هذا في الآية الخبر المقصود كونها خالصة أم كونها للمؤمنين خالصة فلو حذف الموصول وصلته من الآية لم يكن الباقي كلاما،ولم يكشف عن مقام القصة من الآية في الحديث عن المؤمنين؛وكذلك المعنى في البيت الشاهد لايتيح فرض حذف الجار والمجرور واستغناء الباقي عنه ولو حذفتهما لنقص المعنى واختل نظام البيت.

ومنه توجيه قوله تعالى:{فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(البقرة١٨٤)رفع(خيرٌ)لأنّه خبرٌ،لايحسن السكوت دونه وكذلك قوله تعالى{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(النور٦٠)لكنّه نصبه في قوله تعالى:{انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ}(النساء١٧١)لأنّه يحسنُ السكوت عنه.(٦٦)

وقال في معناه بحسب تفسير إعرابه وإنْ تصوموا فالصيام خيرٌ لكم ،وإنْ يستعففن يكن الاستعفاف خيرا لهنّ،أو الاستعفاف خيرٌ لهنّ(٦٧)وهذا مفصلٌ رئيس في عنايته بالمعنى وذلك قوله في الرفع وتفسير معناه أنّه خبرٌ مما يحسن السكوت عليه ولا ينعقد الكلام من دونه.

٤- نصب المنادى المضاف:

ينصب المنادى المضاف كقولك: يازيدَ بنَ عبد الله. تنصبُ(زيدا)لأنّه منادى مضاف،وينصبُ(ابنَ)لأنّه بدلٌ من زيد،ويكون الجر لـ(عبد الله)بالإضافة إلى(بن)وقد تنادي العرب بغير حرف النداء،فيقولون: زيد بن عبد الله على معنى يازيد،ومنه قوله تعالى:{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}(الإسراء٣)على معنى ياذرية من حملنا(٦٨).

وكان السياق يسمح بتصور معاني أخر خالفه فيها العلماء كالنصب على المفعولية بتقدير:لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلا من دوني،وقد ذكره الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)،أو على الاختصاص وقد جزم به الزمخشري(ت٣٨٥هـ)إذ يكون انتصاب(ذريّة)على الاختصاص لزيادة بيان بني إسرائيل بياناً مقصوداً به التعريض بهم إذ لم يشكروا النعمة.(٦٩)

وذكر الزمخشريّ وجها ثالثا وهو البدلية على قراءة الرفع(ذريةُ من حملنا) بالرفع بدلا من واو(تَتَّخِذُواْ)،وذكر أبو البقاء العكبري(ت٦١٦هـ)أنّه منصوب على البدل من(وكيلا)أو من(موسى) (٧٠)وذلك في قوله تعالى{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ}وهو ملحظ في غاية الضعف وذلك كله بحسب سياق ما قبل الآية محل البحث بالرجوع إليه وقراءة الرفع حسنة جميلة لاتساع النهي حتى يشمل ذرية من حمل مع نوح،والله تعالى أعلم.

٥- النصب عطفاً على اسم(إنّ)والرفع على المحلّ .

العطف من أساليب العربية وللعرب فيه تصرف وتفنن وهو أسلوب مشهور في كلامهم وقد وضع النحويين قواعده بحسب خصائص استعماله اللغوي واستنباط معانيه وقد سبق في ذلك الخليل وهو يعرض المسألة قال: تقول إنّ زيدا خارجٌ ومحمدٌ فزيد منصوب لأنّه اسم إنّ وخارج خبرها ومحمد رفعته لأنه جاء بعد خبر مرفوع(وهو ما يسمى بالعطف على اسم إنّ بعد تمام الخبر).قال: وإنْ شئت نصبته لأنّك نسقته بالواو على زيد وقد فصل بينهما بالخبر.

ومنه قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}(التوبة٣)فرفع رسوله؛لأنّه جاء بعد خبر مرفوع وإن شئت نصبت،قال: والرفع أجود، وذلك فيما يبدو للباحث على معنى الاستئناف،ومنه

قوله تعالى{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} (٣٣الجاثية)فجعل الرفع للسبب نفسه وجواز النصب والرفع عنده أجود ،

وقد عقد سيبويه في هذا باب ما يكون محمولاً على إنّ فيشاركه فيه الاسم الذي ولِيها ويكون محمولاً على الابتداء فأما ما حُمل على الابتداء فقولك:(إنّ زيداً ظريفٌ وعمرٌو)فعمرو يرتفع على وجهين:

أحدهما/ فأما الوجه الحسن فأنْ يكونَ محمولاً على الابتداء لأنّ معنى (إن زيداً منطلقٌ)زيدٌ منطلق ،وإنّ دخلتْ توكيداً كأنه قال: زيدٌ منطلق وعمرو.وفي القرآن مثله:{إنّ الله بَرَئٌ من المشركين ورسولُه}.

وثانيهما / وأما الوجه الآخر الضعيف فأن يكون محمولاً على الاسم المضمَر في المنطلق فإنْ أردتَ ذلك فأحسنه أن تقول: منطلقٌ هو وعمرٌو،وإنّ زيداً ظريفٌ هو وعمرو.

وإن شئت جعلت الكلام على الأول فقلت: إن زيداً منطلقٌ وعمراً ظريفٌ فحملته على قوله تعالى:{ ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرَ يمدُّه من بعده سبعةُ أبحُرٍ}.وإذا قلت: إن زيداً فيها وإن زيداً يقول ذاك ثم قلت نفسه فالنصب أحسن.(٧١)

ويرى الباحث في هذا التوجيه،على حسنه في ضبط نسق الكلام،إغفالا للمعنى فـ(إنّ)تفيد التوكيد والمعطوف على اسمها مؤكد حين ينصب ،ولايشمله التوكيد في حالة الرفع لاقتضاء الاستئناف انفصال الكلام عمّا قبله ودليل ذلك قوله تعالى في تكرار إنّ مع نظير الآية محل البحث من الجاثية قال تعالى{...أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا}(الكهف٢١)ولو قال(والساعة)بالنصب لشملها التوكيد لكنّ تكرار العامل آكد في المعنى وأشد تأثيرا في النفس.وجميع ذلك ما بيناه في بحث سابق مما يليق فيه تفصيله ويغني عن إعادته هنا،وذلك في العطف على خبر ليس المقترن بالباء من دون تكرار حرف الباء(٧٢)

ومنه قوله تعالى:{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(المائدة٤٥)فالنصب قراءة عامة، والرفع قراءة الكسائي(ت١٨٩هـ)من الكوفيين برفع(العينُ،والأنفُ،والأذنُ، والسنُّ) والمرجع في النصب العطف على(النفسَ)وأعمل(أنّ)في النفس،ومعطوفها.(٧٣)

والرفع عطفا على موضع(النفس)وهو الابتداء،وهناك من يرى أنّ العطف على الجملة وهو من نوع عطف المفرد على الجملة،قالوا: فلما تمت بخبرها وهو(بالنفس)عطفها على موضع الجملة،وموضعها الابتداء والخبر،فهو عطف جملة على جملة(٧٤)وهذا العطف غير منطقي لسبب رئيس وهو اشتراك المتعاطفين بخبر واحد فما الحاجة إلى تكرار الخبر تقديرا،ولاسيما أنّ الخطاب يشتمل على التأثير النفسي وارتباط معانيه بالدلالة النفسية، فذكر التصدق وهو يمثل للإنسان مساحة كبيرة من الهدوء واستقرار النفس في حلّ مشكلته والتقرب من الله والتخلص من براثن الإثم والعدوان على الله فيزيل عن نفسه الألم والاضطراب،ويحيل رغبته على السعى في سبيل التصدق امتثالا لله تعالى.بينما يمثل القصاص جانبا غير ذلك،لأنّ نوازعه النفسية تظل مرهونة بما اقتصّ منها،بينما يحرر التصدق هذه النوازع.

ولذلك على التوجيه النحوي أن يحافظ على أجواء النص القرآني فلا يمكن قبول أيّ توجيه يعتمد على الخلجات والاحتمالات،فثمة من يجوز من النحويين أن يكون عطفاً على المعنى،لأن معنى(كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ)(قلنا لهم:النفس)فيكون العطف على معنى الابتداء والخبر(٧٥)وهو توجيه في غاية البرودة. وأبرد منه ما يجوز عند الزجاج((أن يكون عطفا على المضمر في النفس،لأن المضمر في النفس في موضع رفع،والمعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس،والعين معطوفة على هي))(٧٦)وهو توجيه ليس بسديد لاقتضائه التقدير وكان أستاذنا

الدكتور خليل بنيان(متعه الله بصحته ومتعنا بطول عمره) يقول:من أدرى النحويين أنّ الله يريد اللفظ المقدر .

ويجوز أن يكون الرفع على الاستئناف[٧٧]بما يوجه لنا معنىً جديداً يختلف عن معنى العطف وعليه كلام المعاصرين كالدكتور فاضل السامرائي في معانيه[٧٨].

ثانيا / الفصل بين الإسم والنعت والتوجيه النحوي بين النصب والرفع :

عرض الخليل لشواهد من التعبير القرآني في الفصل بين الاسم والنعت وقال: إنّ العرب في هذا بالخيار في الوصف بين الرفع والنصب فيقولون:(إنّ زيدا خارجٌ الظريفَ)على النصب ويقولون(إن زيدا خارجٌ الظريفُ)على الرفع.

ومنه قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}(سبأ٤٨)على الرفع قال الخليل:وإن شئت نصبت.والرفع أحسن(والتعبير عن اسم الله بلفظ الرب وإضافته إلى ضمير المتكلم للإشارة أن الحق في جانبه وأنه تأييد من ربه فإن الرب ينصر مربوبه ويؤيده.فالمراد بالربوبية هنا ربوبية الولاء والاختصاص لا مطلق الربوبية لأنها تعمّ الناس كلهم .

وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي للدلالة على الاختصاص من دون التقوِّي لأن تقوِّي الجملة حصل بحرف التأكيد.وهذا الاختصاص باعتبار ما في(يقذف بالحق)من معنى تحقق الوصف:الناصر لي دونَكم فماذا ينفعكم اعتزازكم بأموالكم وأولادكم وقوتكم .وهو تعريض بالتهديد والتخويف من نصر الله المؤمنين على المشركين .

وتخصيص وصف(علام الغيوب)من بين الأوصاف الإلهية للإشارة إلى أنه عالم بالنوايا،وأنّ القائِل يعلم ذلك فالذي يعلم هذا لا يجترىء على الله بادعائه باطلاً أنه أرسله إليكم،فالإعلام بهذه الصفة هنا يشبه استعمال الخبر في لازم فائدتِه وهو العِلم بالحكم الخبري .

ويجوز أن يكون معنى:(يقذف بالحق)يرسل الوحي على من يشاء من عباده)[٧٩] وقرأ جمهور القراء(علاّمُ)بالرفع أي:هو علام،وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق(علاّمَ)بالنصب إما على البدل من اسم(إنّ)وإما على المدح،وهو ما يسمى بالنعت المقطوع

ويحمل رفع(علام الغيوب)على محل إن واسمها،أو على الضمير المستكن في (يقذف)،أو هو خبر المبتدأ المحذوف.وذكر الزمخشري قراءة:(الغيوب)بالحركات الثلاث.

ثالثا/التوجيه النحوي لتوسط الفعل بين صفتين:

لم يكن التوجيه النحوي غفلا عن تقدير الموقع الوظيفي للفعل وملاحظة مساحته الدلالية في السياق فقد تابع الخليل موقعه بين شبهي الجملة مما يسميه بـ(الوصف) فذهب يفسر موقعه الإعرابي فقال:فهو نصب أبدا،كقولك:(أزيدٌ في الدار،قائما فيها)؟ وهو لا يجوّز(قائم).

ومثله قوله تعالى{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}(الحشر١٧)والمعنى أنّ(في النار)صفة و(فيها)صفة،ويظهر للباحث أنّهما صفة من جهة كونهما ظرفا،((فوقع(خالدين)بينهما،وهو تثنية،وهو فعل،فلا يجوز فيه الرفع.ومن قال من النحويين:(إن الرفع جائزٌ)فقد لحن))[٨٠]لكنّ الزجاج أجازه على تحفظ وسيأتي.

وأورد الزجاج(ت٣١١هـ)وابن عطية(ت٥٤١هـ)في قوله تعالى:{فكان عاقبتهما} قراءة عمرو بن عبيد:برفع(عاقبتُهما).وقرأ الأعمش وابن مسعود:{خالدان}بالرفع على أنه خبر(أنّ)، والظرف(فِي النَّارِ) ملغى،على حدّ ما سبق من تفسير الخليل وسيبويه من جواز النصب والرفع في نحو:(فيها زيدٌ قائمٌ،وقائما)والرفع على إلغاء الظرف وذلك جائز عند سيبويه على التوكيد

وقد سبق بيانه ومن هنا قال الزجاج في الرفع((وهو في العربية جائزٌ إلاّ أنّه خلاف المصحف فمن قال:خالدين فيها فنصب على الحال،ومن قرأ خالدان فهو خبر إنّ))[٨١]فكأنّه يشير إلى أهمية التزام الأثر في القراءة وإنْ جاز في المقروء وجه من العربية وهو ما صرّح به أبو علي الفارسي مما سبق بيانه،وستأتي الإشارة إليه.

ومن هنا يرى الباحث رعاية للمعنى أنّ(عاقبتهما):خبر كان،وعبارة(أنّهما) اسمها، وسيأتي بيان ذلك مفصلا،ويكون(خالِدَين)حال،وهو ما يناسب المعنى المقصود من البناء اللغوي للسياق فالآية بيان في كونهما على حال الخلود في النار وليس بيانا لكونهما في النار فحسب والله تعالى أعلم.

رابعا / الفعل بين التضمين والإلغاء وتحويل زمنه في التوجيه النحوي:

١ - / تضمين الفعل معنى غيره مما يؤثر في تفسير إعراب ما يتعلق به:

التضمين مضرب من مضارب شجاعة العربية على حدّ تعبير ابن جني(ت٣٩٢هـ يحمل أفقا عريضا من الاتساع في التعبير وتحقيق المعنى وتثبيته ومنه ما ورد من توجيه الخليل في مجيء(كان)بمعنى(جاء)و(خلق الله)قال تعالى:{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون}(البقرة٢٨٠)على معنى(وإنْ) جاءكم ذو عسرة أو إنْ حصل ذو عسرة،أيْ:غريم معسر على تضمين كان معنى حصل.وعناية الخليل هنا بالمعنى من جهة تفسير كان بـ(جاء،وحصل)إشارة إلى كونها التامة[٨٢]وهو ما عليه التفسير ممّا يأتي تفصيله فرفع(ذو عسرة)كان على نحوين:

أحدهما/ على حذف الخبر بنية تقديره وكان ناقصة.قال الطبري(ت٣١٠هـ)في تفسير الآية وقوله:(ذو عسرة)،مرفوع بـ(كان)والخبر متروك،وإنما صلح ترك خبرها،من أجل أنّ النكرات تضمِرُ لها العربُ أخبارَها،وتقدير الكلام:(وإن كان)من غرمائكم ذو عُسْرَة. [٨٣]

ثانيهما/ وهو ما سبق إليه الخليل مما سبق بيانه وهو أنْ تكون كان التامة بمعنى (حدث)،وارتفع(ذو عسرة)بـ(كان)التامة التي هي بمعنى وجد وحدث قال الطبري: ولو وُجِّهت(كان)في هذا الموضع،إلى أنّها بمعنى الفعل المكتفِي بنفسه التام،لكان وجهًا صحيحًا،ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر.ويكون تأويلُ الكلام عند ذلك:وإنْ وُجِد ذُو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم،فنَظِرة إلى ميسرة،أو حصل ذو عسرة. [٨٤]وهو ما يعني تضمينه حدث وجاء في قول الخليل السابق،وحصل في قول بعض المفسرين.

وقد ذكر أنّ ذلك في قراءة أُبَيّ بن كعب:(وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ)بمعنى:وإن كان الغريم ذا عسرة،(فنظرة إلى ميسرة).ورفض الطبريّ(ت٣١٠هـ)أنْ يكون ذلك موضع تعبد من جهة كونه قراءة،فأشار إلى أنّ ذلك وإنْ جاز في العربية فغيرُ جائز عنده القراءة به لخلافه خطوط مصاحف المسلمين،مما علله أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧هـ)بأنّ القراء يتبعون الأثر وإنْ جاز غيره في العربية مما سبق ذكره.لكنّ الفراء (ت٢٠٧هـ)قد سبق إلى إجازته على إطلاقه من دون شرط فبأيهما قرأت أصبت وجها من العربية عنده[٨٥].

نعم...هذا ما قاله الطبري وتبعه غيره من المفسرين.فارتفع قوله:(فنظرة)على أنّه خبر مبتدأ تقديره فالواجب نظرة،أو فالحكم نظرة[٨٦]ومن ذلك قول الشاعر:(الوافر)

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإنّ الشيخ يهدمه الشتاء

أيْ:إذا جاء(الشتاء).ومنه قول المفضل الضبي: (الطويل)

أ فاطمَ إنّي هالكٌ فتبيّني ولا تجزعي كلُّ النساء يئيمُ

ولا أنبأن بأنّ وجهك شانه خموشٌ وإنْ كان الحميم الحميمُ

والمعنى:وإنْ مات الحميم الحميمُ،على تضمين(كان)،والفراء على أنّ رفع الحميم الثاني على التشديد والتوكيد للمبالغة في القرابة قال:ولو لم يكن في الكلام الحميم لرفع الأول، فتكتفي(كان)

بالاسم،[٨٧]أيْ:تكون تامة وهذا أنها بمعنى يضفيه السياق وهو(هلك)أو مات.ومنه وقول الشاعر: (الطويل).

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

أيْ:إذا وقع،بينما فسّره ابن يعيش(ت٦٤٣هـ)على أنّ(كان)في البيت هي التامة وأجراها مجرى الفعل اللازم لدلالتها على الحدث[٨٨].وأما قول عنترة: (الطويل)

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا؟

ففسر سيبويه إعرابه على إرادة:إذا كان اليوم يوما ذا كواكب فقد أضمر اسم كان لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم.ومنه قول الشاعر:(الطويل).

أعينيّ هلاّ تبكيان عفاقا إذا كان طعنا بينهم وعناقا

وذلك على إضمار مرفوع لكان تقديره(هو)،أيْ:الجلاد والقتال وفسّر الفراء(ت ٢٠٧هـ)تقدير المرفوع بقوله:وإنّما احتاجوا إلى ضمير الاسم في(كان)مع المنصوب؛ لأنّ بنية(كان)على أنْ يكون لها مرفوع ومنصوبٌ،فوجدوا(كان)يحتمل صاحبا مرفوعا فأضمروه مجهولا.[٨٩]

ومن استعمال كان التامة ما رواه ابن جني(ت٣٩٢هـ)أنّ الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق الحضرميّ(ت١١٧هـ)فأنشد قول الشاعر:(الطويل).

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيمُ الحواشي لا هراءٌ ولا نزرُ
وعينـــان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب مـا تفعل الخمرُ

فقال ابن أبي إسحاق:ما كان عليك لو قلت:فعولين!فقال الفرزدق:لو شئت أنْ تسبّح لسبّحت.ونهض فلم يعرف أحدٌ في المجلس ما أراد بقوله:لو شئت أنْ تسبّح لسبّحت، أيْ:لو نصبت لأخبر أنّ الله خلقهما وأمرهما أن تفعلا ذلك.وإنّما أراد:أنّهما تفعلان بالألباب ذلك.قال ابن جني:كان هنا تامة غير محتاجة إلى الخبر.فكأنّه قال:وعينا قال الله احدثا فحدثتا،أو اخرجا إلى الوجود فخرجتا[٩٠].وذلك على معنى فعل الحدث اللازم،فكان التامة لازمة نحو جاء زيدٌ،وكان الولد.وفي النصب وجه لابأس به من قول أبي إسحاق،والمعنى على هذا،ولها عينان قال الله كونا،فكانتا فعولين،أيْ:خلقهما، وجعلهما كذلك.فيصبح الفعل(كونا)رمزا على معنى قال الله كونا خلقا حسنا،فجعلهما (فكانتا)فعولين بالألباب ذلك الشيء.

ومنه تفسير العلامة الاعرابية على الوجهين في قوله تعالى:{وحسبوا أنْ لا تكونَ فتنةٌ}[المائدة٧١] ذلك في قراءة(فتنة)بالرفع والنصب قال أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧هـ) في ذلك:((هذا لأنهم جعلوا كان بمنزلة(وقع)ولو نصب فقيل:أنْ لا يكونَ فتنةً أيْ: أنْ لا يكونَ قولهُم فتنةً لكان جائزا في العربية.وإنّما رفعوه فيما نرى لاتباع الأثر،لا لأنّه لايجوز في العربية غيره))[٩١]

ومنه قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}[النساء٢٩]وعلى هذا المنحى جار تفسير قراءة النصب في الآية فالمعنى:إلا أنْ تكون التجارةُ تجارةً.وهو ما عليه المفسرون[٩٢]

والمعنى على قراءة الرفع بتضمين الفعل(تكون)معنى(تقع)وهو ما يعني كونها(كان)التامة فلا حاجة لاستدعاء خبر:إلا أن تقع تجارة،وهو ما صرّح به الأخفش(ت٢١٥هـ)وغيره[٩٣]وهو كقول عنترة: (الطويل)

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا؟

ونقل سيبويه في البيت رواية الرفع قال:((وسمعت بعض العرب يقول:أشنعا، ويرفع ما قبله كأنّه قال:إذا وقع يومٌ ذو كواكب أشنعا))[٩٤]وهو يقصد كان الناقصة التي تتعدى إلى الخبر لتنبه وليس في تمثيله بـ(وقع)قصد كان التام أو تضمينه لأنّه مما يقف على فاعله ولا يتعدى للخبر،ولا يستقيم فهم كلام سيبويه على قصد الفعل(كان)التام وتضمينه وقع وإنْ صحّ تفسير نصب(أشنعا)على وجه آخر فلا يستقيم؛لأنّه صفة لليوم نصبت بـ(كان).

وتفسير النصب في الآية عند الخليل على قراءة النصب بعيدٌ بتقدير(التجارة)، وربما تعلق بتوجيه الاستثناء على الانقطاع؛وذلك أنَّ التجارة ليست من جنس أكل المال بالباطل فيكون

المعنى على ذلك: لكن كون الحاصل تجارة عن تراض بينكم،والله تعالى العالم.ومن هنا فسّر الخليل النصب على تقدير: إلا أن تكون التجارةُ تجارة. وعليه يمكن حمل تفسير نصب(أشنعا)بمعنى إذا كان اليوم يوما أشنعا.

ويبدو للباحث أنّ الذي حمل الخليل على تقدير تجارة في قراءة النصب هو تأنيث الفعل(تكون)وتقدير التجارة مناف للمعنى من اتصاله بالسياق وتأنيث الفعل عندي لتعلقه بالأموال والمعنى باستثناء نوع من أكل الأموال بنحو الاستمتاع وهو أنْ تكون الأموال المأكولة تجارةً عن تراض.فالاستثناء منقطع،لأنّ التجارة ليست من جنس الأكل وكان تامة لمن رفَع،وناقصه لمن نصب،واسمها:ضمير يعود على الأموال.

ورأى بعض المفسرين أنّ اسمها ضمير الأموال على حذف مضاف،والمعنى:(إلاَّ أن تكون الأموال أموالَ تجارة)وهو ضعيف فيما يرى الباحث ويمكن أنْ يكون المعنى:(إلاَّ أن تكون الأموال المأكولة كسبَ تجارة)لتعلق الاستثناء بنوع الأكل المنهي عنه في صدر الآية، وقد رجّح ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) وجه النصب وجعله الوجه الأحسن لتقدم الأموال.[٩٥]

ويكون الاستثناء متصلا من غير حاجة لإلغاء قيد(الباطل)الذي يكون قيدا لنوع الأكل المنهي عنه فيكون استثناء من أكل الأموال ومقتضى ذلك أنّ الاستثناء أباح أكل المال بالتجارة والتراضي من غير حاجة إلى ادعاء الحصر على معنى الاستثناء المتصل لكونه ذكر الأكل بالباطل عاما لاشتراكه بالوصف ما يكون كالواحد وإنْ تعدد ، واستثنى الأكل بالحق والتراض وهو عامٌ ذكر أحد أفراده وقصد الجميع لدلالة الوصف(عن تراض)على العموم في البيع وسائر المعاوضات المحللة ومنها التجارة كونها العنوان العام الجامع للكسب بالتراض كقوله تعالى(ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)وقوله(فإنْ طبنَ لكم عن شيء منه فكلوه هنيئا مريئا).وكلّه من التراضي وهو معنى يجمع الأكل بالحق ما يقابل تعدد طرق الأكل بالباطل فيكون ذكر عاما واستثنى خاصا وهذه سنة القرآن في ذكر العام ثمّ الخاص وقد يعكس كقوله تعالى:{وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}(النساء١٦١)

وقد يكون قيد الباطل والتراضي عامان يشتملان على أنواع كثيرة فيصحّ تفسير الاستثناء على الاتصال وهو استثناء خاص(فرد من أفراد الكسب المباح بالتراضي) من الأكل المنهي عنه المجموع بالوصف(الباطل)قيد نوعي ومنه قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}(التوبة٣٤)

يقول الحقّ جلّ جلاله:{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل}الأكل الذي لا تُجوزه الشريعة،كالأكل بالربا والقمار،والغصب والسرقة،والخيانة والكهانة والسحر وغير ذلك(إلا أن تكون)أيْ:لكنْ..إنْ وجدت(تجارة)صحيحة(عن تراضٍ منكم)أيْ:اتفاق منكم على البيع وذلك وقوع جملة(عن تراض منكم)موضع الصفة للتجارة المأكولة بالاتفاق وهو ما يتعلق بتفسير نوع الاستثناء على الانقطاع أو الاتصال مما سبق بيانه.

ومنه قوله تعالى:{وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا}(البقرة٢٨٢)فنُقل فيه قراءة الرفع والنصب في(تجارة)فالرفع متجه بأنّ المرفوع اسم كان والفعل(تديرونها)الخبر،ولا اشكال في الترتيب اللفظي من بناء الجملة،أو أنْ يفسر(تكون)بحمله على(كان)التام وتضمينه معنى وقع وحدث، وتفسير النصب على اضمار اسم كان فيه وتنصب(تجارة)على الخبر وقد ضعّفه ابن خالويه[٩٦]والوجه فيه على حمل كان على أنّه الفعل التام بمنزلة وقع وحدث.

وجعل الخليل شاهده على تقدير(أَنْ تَكُونَ التجارة تِجَارَةً)قول لبيد بن ربيعة: (الكامل)

فمضى وقَدَّمَها وكانتْ عادةً مِنْهُ إذا هي عرَّدَتْ أقدامها

قال:معناه:كانت العادة عادة على رواية(أقدامها)[٩٧]وهو عند الباحث ضعيف لترهل العبارة وتفتت المعنى لتعلق أقدامها بالفعل على أنّها فاعل عرّدت فتقدير العادة بعيدٌ في قصد الشاعر

وهو ليس كتفسير سيبويه قول عنترة المتقدم من اضمار اسم كان وتقديره بـ(اليوم)على معنى(كان اليوم يوما ذا كواكب أشنعا)وذا كواكب أشنعا صفتان لخبر كان(يوما)

والأقرب فيما استشهد به الخليل والأرجح مما ذُكر من قوله أنْ يكون على معنى: كانت التقدمة منه عادةً وتاء التأنيث رمزٌ على هذا المعنى يشير إليه ويُنبئ به.وذلك على نية تأنيث التقديم،وهو كثير في أشعار العرب ومنه ما جاء في التعبير القرآني.قال تعالى:{يلتقطه بعضُ السيارة}(يوسف١٠)في قراءة من قرأه بالتأنيث (تلتقطه)[٩٨]وفسره سيبويه(ت١٨٠هـ)أنّه مثل(ذهبتْ بعضُ أصابعه)قال ((وإنّما أنّث البعض لأنّه أضافه إلى مؤنث هو منه ولو لم يكن منه لم يؤنثه ؛لأنّه لو قال:ذهبتْ عبدُ أمّك لم يحسن))[٩٩]وذلك أنّ المضاف(عبد)ليس بجزء من المضاف إليه فالبعض جزء من الأصابع ومن السيارة ولكنّ العبد ليس بجزء من الأم.

وهذا النمط من الكلام هو ما جعله ابن جني(ت٣٩٢هـ)على نية تأنيث المذكر وهو فاش في لغة العرب[١٠٠]وهو أرجح من حمله على لفظ العادة لمخالفته الصنعة إلا بتقدير العادة عادة مما سبق تقديره عند الخليل،لانطوائه على حشو غير نافع.

ومرجع الترجيح النظر في حلاوة العبارة وتذوق فنّ صياغتها وملاءمتها لصنعة الإعراب على الوجهين من التقدير(كانت العادةُ عادةً منه)ومن معنى(كانت التقدمةُ عادةً منه)فالمعنى تبع لهذا التقدير وهو ذو حظّ .

وجعل ابن جني(ت٣٩٢هـ)والزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)وابن عطية(ت٥٤١هـ) والعكبري(ت٦١٦هـ)التأنيث في الآية من الحمل على المعنى كأنّه قال تلتقطه السيارة لأنّ بعض السيارة سيارة،ومن ذكّره حمله على لفظ(بعض)وهو توجيه لايخلو من الحسن وهو قول ابن جنيّ.ومثله قوله تعالى(وإقام الصلاة)والمعنى إقامة،ونحو ذلك كثيرٌ في العربية وسنن العرب في استعماله[١٠١]وجعل ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)تأنيثه لتأويله بالجماعة التي تسير مثل الفلاّحة والبَحّارة[١٠٢]

وإنّ كانت العبارة على رواية:(إقدامها)فقدم وأخر والعبارة كان إقدامُها عادةً.ولعل رواية أقدامها أليق بالمعنى ومن هنا يقدر الخليل كان متغافلا عن تاء التأنيث لعدم اتساقها مع السياق والمعنى قال:((وإنْ كان (إقدامها عادة)فقدّم وأخر))[١٠٣]وكأنّ الخليل،ههنا،شغله تفسير الإعراب عن تفسير المعنى،ذلك أنّ الإقدام لا يؤنث بأيّ وجه من التأويل..

٢ - تحويل زمن الفعل من المضي إلى المضارع وبالعكس .

تتفنن العرب في استعمالها اللغوي في التعبير عن المعاني المتعددة من مقاصد حياتهم والتعبير عن احتياجهم إليها وهم في ذلك يتخذون الأساليب البلاغية طريقا مأهولة تارة ويتفردون تارة أخرى ويبتعدون.

ومن ذلك ما جرى سنة لهم في استعمال الفعل في غير دلالته على الزمن كاستعمال الفعل بهيأة المضي الصرفية،ويقصدون الزمن الحال والاستقبال وقد يعكسون وقد عرض العلماء كالخليل(ت١٧٥هـ)في كتابه الجمل محل البحث وسيبويه (ت١٨٠هـ)والزجاج(ت٣١١هـ)وابن جني(ت٣٩٢هـ)وابن فارس(٣٩٥هـ) وأبو منصور الثعالبي(ت٤٣٠هـ)وابن هشام(ت٧٦١هـ)والسيوطي(ت٩١١هـ) وغيرهم طائفة من هذا النحو من السلوك اللغوي،وذلك كقوله تعالى:{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(النحل١) والمعنى يأتي بدليل حكاية السياق بعده من قوله تعالى:{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}(النحل١-٢)

ومنه استعمال المضارع للدلالة على الماضي كقوله تعالى:{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}(البقرة١٠٢)والمعنى:((ما تلت الشياطين))ولا يمكن التمسك بمعنى المضارع لمضي القصة وما احتمله ابن هشام وبه فسّر البقاعي(ت٨٨٥هـ) المضارع الصريح ليكون معناه(تقرأ) أو(تتقول)غير متناسب مع مضمون السياق ففي استعمال المضارع بمعنى(الماضي) إشارة إلى كثرته واستمراره بالنسبة إلى زمن ملك سليمان وهو معنى جيد يكشف عن دقة الاستعمال

اللغوي وحكمته في التعبير القرآني وهو مختار ابن هشام في أحد قوليه وهو ما عليه جملة من علماء العربية الأوائل .[١٠٤]

وكقوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}(الحج٦٣)والمعنى فأصبحت الأرض.وإنّما جاء الفعل بهيأة المضارع والمعنى المضي للعطف لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين وهو ما عليه التفسير[١٠٥]فلما كان العطف على الماضي(أنزل)كان المعطوف بمعنى الماضي وإنْ كان بهيأة المضارع.

وبهذا الاتجاه عرض الخليل مسائل هذا الباب فيما يخصّ استعمال الفعل(كان) بمعنى يكون ومنه قوله تعالى:{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}(المعارج٤)والمعنى:((يكون مقداره))[١٠٦]بملاحظة أنّه مما لمّا يقع وهو يوم القيامة،وهذا ما عليه المفسرون[١٠٧]وما يؤيد هذا المعنى عند الباحث أنّ سياق ما بعده يعبر عن معنى المستقبل في صفة هذا اليوم وما يقع فيه بملاحظة أنّ الضمير في(يرونه)يعود على اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة من قوله تعالى:{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا}(المعارج٦ - ١٠)ومن هنا ستكون الفائدة البلاغية في التعبير بالماضي عما هو مستقبل لمّا يقع وهي تنزيل البعيد منزلة القريب الحاصل وكلام العكبري (ت٦١٦هـ)يقوي ذلك المعنى من جهة جعله(يوم تكون)بدلا من قوله قريبا[١٠٨].والله تعالى أعلم.

ومن هذا النوع من الاستعمال قول الطرمّاح:(الطويل)

فإنّي لآتيكم بشكريَ ما مضى منَ العرفِ واستيجابِ ما كان في غدِ

والمعنى:((ما يكون في غدٍ))[١٠٩]وذلك أوضح من عين الشمس لقرينة(غد)فهو معنى قريني استعمل فيه الفعل الماضي للدلالة على ما في الفعل المضارع من حيث الزمن لأمن اللبس.وقد علل ابن جني(ت٣٩٢هـ)هذا الاستعمال بقوله:((كان حكم الأفعال أنْ تأتي كلها بلفظ واحد؛ لأنّها لمعنى واحد؛غير أنّه لمّا كان الغرض في صناعتها أنْ تفيد أزمنتها،خولف بين مثلها؛ليكون ذلك دليلا على المراد فيها. قال: إنْ أُمن اللبس جاز أنْ يقع بعضها موقع بعض.))[١١٠]ومثله في الوضوح من المعنى للقرينة عليه قوله تعالى:{قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}(البقرة٩١) فالمعنى قتلتم بقرينة(من قبل)وقوله:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ...}(المائدة١٨)قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ)((المعنى: لمَ عذّبَ آباءكم بالمسخ والقتل؟لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمْ يؤمر بأنْ يحتج عليهم بشيء لم يكن؛ لأنّ الجاحد يقول:إنّي لا أعذّبُ؛لكن احتج عليهم بما قد كان))[١١١]ومعنى هذا أنّه كلّمهم بما يعرفون مما وقع عليهم من العذاب وهو احتجاج منطقي يقرّه العقل وتحكيه العادة من وقوع العذاب في الدنيا على الأقوام وأهل القرى بذنوبهم.

ومن هنا أجدني متفقا مع ابن فارس في صرف لفظ الفعل المضارع إلى معنى الماضي على الرغم من وجود احتمال إرادة المستقبل بملاحظة أنّ النبيّ يحدثهم بالحسنى بحسب آية المجادلة أولا،ولأنّه صلى الله عليه وآله يحدثهم بما يعتقد من مضمون رسالته ثانيا؛ولأنّ التذكير بما حصل بالآباء بالنسبة لليهود وهو كتابيون يثير حفيظة النفس ويتنافى مع مضمون آية المجادلة بالحسنى.

وما زال هذا الاحتمال قائما في النفس فلا يُقطع بما قاله ابن فارس.فمن اعتقد المطابقة بين لفظ الفعل ودلالته على المستقبل من كون العذاب في الآخرة كان سليما على ضعفه على الرغم من جريان العادة في وقوع العذاب في الدنيا ولكنها جارية في كونه في الآخرة أيضا.

ويمتنع جريان هذا الأسلوب من بناء الجملة في العربية عند نقض الغرض نحو: (سأقوم أمس)وهو ما سبق إليه سيبويه في تصنيف الكلام على معيار الاستقامة والحسن والقبح[١١٢]ولهذا الاستعمال شواهده الكثيرة أنْ تأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال وهو ما قال فيه سيبويه:قد تقع نفعل موضع فعلنا كقول شاعر بني سلول:(الكامل)[١١٣]:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلت لا يعنيني

والمعنى أي:ولقد مررت.ومنه قول الراجز وهو رؤبة:[١١٤]

أوديتُ إن لم تحبُ حَبْوَ المعتنِكْ فالذخر فيها عندنا والأجر لكْ

أي أُودِي - وأمثاله كثيرة –

ولعلّ منه قوله تعالى:{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}(الإسراء١٠٠)فلما كان(لو)مما يبنى له الفعل كان المعنى:(لو ملكتم لأمسكتم)بملاحظة أنّ لو تصرف الفعل المضارع إلى معنى المضي،وأنّها تستعمل في المضي غالبا ونقل أبو حيان الاندلسي(ت٧٤٥هـ)في الآية محل البحث جواز أنْ يكون الفعل مضمرا بعد(لو)فانفصل الضمير والمعنى في تملكون المضي على تقدير(لوملكتم تملكون) (١١٥)وهو بعيدٌ ويرجح الباحث عدم القول بالحذف والتقدير وأنّ الاسم يأتي بعد(لو)من دون حاجة إلى تقدير فعل محذوف.

وقد تستعمل في المستقبل على معنى الشرط بمعنى(إنْ)وقد اعتمد كثيرٌ من المفسرين على هذا الأصل مما سرده المرحوم عبد الخالق عضيمة كقوله تعالى:{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ}(آل عمران ١٦٧)والمعنى(لو علمنا)؛لأنّ(لو)من القرائن التي تخرج المضارع لمعنى الماضي إذا كانت حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره،ولم تكن بمعنى(إنْ)الشرطية(١١٦)

ومنه قوله تعالى:{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}(البقرة١٥٨)قال الزجاج ومعناه الاستقبال؛لأنّ الكلام شرطٌ وجزاء فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال (١١٧)

وليس منه قوله تعالى{وكان الله غفورا رحيما}؛لأنّ كلّ فعل ماض في حقه تبارك وتعالى دالٌّ على الزمن المستمر المطلق لأنّه القديم الأزلي والدائم الأبدي ومن هنا قال أبو منصور الثعالبي إنّه على معنى كان ويكون وهو كائن الآن.فكان حقّ هذه الجملة من آيات القرآن الكريم ألاّ يضعها ضمن هذا الفصل.

ومن هذا،أيضا،قول الشاعر:(الطويل):

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدعْ لمن كان بعدي في القصائد مصنعا

قال: أيْ:لمن يكون بعدي.(١١٨)وهذا كسابقه من وجود القرينة عليه وهي(بعدي)، ويرى الباحث أنّ (كان)هنا بمعنى صار أو جاء مما سبق عرضه والنصب في (مصنعا)بتعلقه بالفعل المجزوم(مصنعا)وفاعل كان ضمير يعود على(من)الموصولة ويبقى الوجهان محتملان من مجيء كان بمعنى صار أو جاء، ومعنى كونه استعمل في المستقبل بمعنى(يكون).

ومن الاستعمال اللغوي في هذا الأسلوب قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ}(الأنعام٢٧)وقوله:{أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ}(الأعراف١٠٠)فصرف ابن هشام (ت٧٦١هـ)المضارع في الآيتين إلى المضي ثمّ قال:((وتقرير ذلك أن تعلم أنّ خاصية (لو)فرض ماليس بواقع واقعاً ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع،وخاصية(إنْ)تعليق أمر بأمر مستقبل محتمل،ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال؛فعلى هذا قول الأخطل:(البسيط):

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

يتعين فيه معنى(إنْ)؛لأنّه خبر عن أمر مستقبل محتمل،أمّا استقباله فلأنّ جوابه محذوف دلّ عليه شدّوا،وشدّوا مستقبل لأنّه جواب إذا،وأمّا احتماله فظاهر،ولايمكن جعلها امتناعية،للاستقبال والاحتمال،ولأنّ المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناعه)) (١١٩)والواضح من عبارة ابن هشام أنّه قصد في(ولو باتت بأطهار)معنى ولو تبيت بأطهار ولهذا الغرض حكى معنى(إنْ)في(لو)لدلالتها على الاستقبال.ودلالة الكلام عند الباحث:الخبر المحض من دون إرادة معنى الامتناع،أو الشرط في(لو).

ويرى الباحث،أيضا،في هذا الشأن أنّه لاحاجة بنا لنقل(لو)إلى معنى(إنْ)وإنّما يكتفى بقدر الإشارة إلى أنّ(لو)قد تفيد معنى إنْ.وهكذا استمر ابن هشام في فرض معنى(إنْ)في كلّ موضع استعملت فيه(لو)في الدلالة على المستقبل من خلال فعلها المتصل بها.من ذلك قول الشاعر(وهو عبد الله بن سلمة):(الطويل): (١٢٠)

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمْسينا من الأرض سبْسبُ

لظلّ صدى صوتي وإنْ كنت رمّة لصوت صدى ليلى يهشُ ويطربُ

والمعنى عند الباحث الاستقبال في مجيء(لو)مع الفعل(تلتقي)فدلالتها ليس من جهة الفعل المضارع،بل من جهة قرينة السياق(بعد موتنا)وحقّ العبارة هيأة الفعل الماضي اتساقا مع جوابها وبقاء دلالة(لو)في المستقبل بقرينة(بعد موتنا)ويكون الفعل(لظلّ)الجواب بمعنى المستقبل(ليظلّ)ولو على دلالتها في المستقبل؛وربما اضطرّ الوزن العروضي الشاعر أنْ يأتينا بالفعل بهيأة المضارع فلو استعمل(التقت)لفسدت التفعيلة الأولى وتحولت من(فعولن)إلى(فعُلن) وهو من الزحاف المكروه الذي لايرد من شاعركعبد الله بن سلمة؛وذلك أنّ(لو)جاء بعدها الفعل الماضي في صدرها وفي جوابها مع بقاء دلالتها على المستقبل في قول توبة بن الحمير: (الطويل):

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمتْ عليّ ودونـــي جندلٌ وصفـــائحُ

لسلّمتُ تسليم البشاشة، أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح[١٢١]

وقد تجدر الإشارة إلى اطّراد هذا النوع من الاستعمال في الفصيح من كلام العرب وفي القرآن الكريم وهو اتساق صدر لو مع جوابها من حيث الهيأة الصرفية للفعل المستعمل وسواءٌ علينا أكان المعنى المقصود الاستقبال أم المضي.

وليس بسديد القول:إنّ استعمال الفعل المستقبل مع(لو)سبب في صرفها إلى معنى(إنْ)كما ذهب إليه الأشموني(ت٩٠٠هـ تقريبا)[١٢٢]لورود الشواهد الكثيرة في دلالتها على معنى (إنْ)مع مجيء الفعل الماضي في صدرها وجوابها،فالقرائن هي التي تكشف عن دلالتها على المستقبل.

ولا يظنّ ظانٌّ أنّه من التضمين.إنّما هو معنى الكلام وما أشار إليه الخليل في هذا الفصل الذي عرضه في كتابه الجمل في سبيل تحري الدقة والعمق في الكشف عن المعنى المقصود من البناء اللغوي للجملة في اللغة العربية.وذلك ما وضّحه العلامة القزويني(ت٧٣٩هـ)في تعريف الإسناد أنّه شيءٌ يحصل بقصد المتكلم[١٢٣]وذلك ما يقتضي أنْ يكون البليغ قليل اللفظ كثير المعنى،متسق العبارة من ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}(الأنعام٢٧-٢٨)فسبق البيان في أنّ العلماء يصرفون الفعل(ترى)تجاه المضي لكنّ الفعل(ترى)فيما أراه على بابه من الاستقبال وذلك من جهتين: إحداهما/ أنّه جاء متسقا في سياق الفعل المضارع(ترى،نرّد،نكذب،نكون)فالفعل(ترى)موضع الخطاب على معنى الاستقبال،وبقية الأفعال على معنى زمن الحال من القول والتمني.

أمّا(إذ وقفوا)فمعناه موقفهم،ومعنى(نكون من المؤمنين)نؤمن.بينما قوله(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا)على معنى الاستقبال واللفظ ماضي لأنّهم لم يُردوا ولم يعودوا فـ(لو)امتناع لامتناع والمعنى(لو يردوا ليعودوا)والله تعالى العالم.

وهكذا قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}(الأعراف١٠٠)على معنى(لو شئنا) وإنّما جاء بلفظ المضارع لاتساقه مع سياقه من الأفعال المضارعة(يهدي،يرثون، نطبع،يسمعون)مع أنّ معنى(أَوَلَمْ يَهْدِ)أهُديَ الذين يرثون.

وربما كان منه قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(البقرة١٠٣)على معنى لو أنّهم يؤمنوا ويتقوا لمثوبة مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لو كانوا يعلمون؛وذلك أنّ قوله(لمثوبة)مصدرٌ للمضي والاستقبال على حدّ سواء ولما كان الكلام في مقام الحال من فعل اليهود محل نزول الآية تعين أنْ يكون ذلك كاشفا عن دلالة الماضي على الاستقبال ويكون الخبر بعدم إيمانهم في وقت الخطاب وليس في زمن سابق عليه بقدر يصدق أنّه زمن ماض.وذلك أنّ لو لما سيقع لوقوع غيره فهي بالنسبة للجواب ما كان في المضي وبالنسبة للشرط فهي في الحاضر ما يترجح معه كون معنى(مثوبة)الفعل المضارع لصريح عبارة

سيبويه:إنّ(لو)لما سيقع لوقوع غيره في حال سلّمنا أنّ(لو)شرط،وجعل بعض المفسرين مثوبة بمعنى(لأثيبوا) [١٢٤] وفيه نظر.

ولكنْ.. لما اطرد مجيء الماضي في جوابها كانت جملة الشرط بـ(لو)تقتضي تعلق الجواب بنحو من السببية وإليه ذهب ابن عطية(ت٥٤١هـ)،وموضع(أنْ وصلتها) رفع،والمعنى لو وقع إيمانهم[١٢٥]،وذلك غير مقصود في الآية محل الشاهد.بل المعنى لو أنّهم يؤمنوا ويتقوا ليثابوا.. والله تعالى أعلم.

وما يحثّ الباحث على التزام فهم المضارع من استعمال الماضي في هذا الموضع مجيء جملة الشرط اسمية تصدرتها(أنّ)التي لا دلالة لها بنفسها على المضي أبدا إلا بقرينة دالة عليه،وإنّها تستعمل في تأكيد ما هو حال ويترجح أنْ تكون لو في الخبر المحض من دون إرادة الشرط.ومقام الخطاب في معنى الحال من إيمانهم برسالة رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله)وبه فسر ابن عاشور. [١٢٦]

ولو قصد المضي بنحو الشرط اللازم لجاء الجواب ماضيا أيْ:لو آمنوا لأثيبوا، وذهب الزجاج(ت٣١١هـ)إلى أنّ(لو)في الشرط ظاهرة وتنوب عنها(إنْ الداخل عليها لام القسم أو من دونه)وبالعكس وفيه اختلاف واعتراض فُصّل القول فيه[١٢٧]وعلى هذا يكون المعنى(لئن آمنوا لأثيبوا)على حدّ قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}(الروم٥١)والمعنى(لو أرسلنا ريحا... لظلوا)ما يظهر للباحث في هذا المقام أنّ(لو)في الآية محل الشاهد غير مقصودة في الشرط بل هي خبر محض لمجيء الجملة الاسمية في سياقها جميعه ولو قصد الشرط لقال: لو آمنوا لأثيبوا ولا مانع من حيثيات الصناعة النحوية ومتطلبات العلو في الفصاحة.

ولو التزم أحدٌ بهذا التقدير(لو آمنوا لأثيبوا)وكانت(لو)عنده شرطا لزمه التخلي عنه لاحتمال التقدير صيغة المضارع(يثاب) لأنّ (المثوبة)مصدر للمضي والاستقبال على السواء.والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال على حدّ ما يعبر به علماء أصول النحو وفلسفته ما يلزمنا التمسك به.

وانتفاء الشرط في سياق الآية محل البحث لاشتماله على معنى التمني الذي جوّز الزمخشريّ(٥٣٨هـ)كونه معنى(لو) فقال:((ويجوز أن يكون قوله:{وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ}تمنياً لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنّه قيل:وليتهم آمنوا.ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير.))[١٢٨]

و(لو)في رأي الباحث خبرية محضة غير شرطية امتناعية لمجيء جوابها جملة اسمية فاقترن شرطها بأنّ مع التزام الفعل الماضي في جملته على حد قول امرىء القيس:(الطويل):

ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

و(أنّ)مع صلتها في محل مبتدأ عند جمهور البصريين وما في جمل الصلة من المسند والمسند إليه أكمل الفائدة فأغنى عن الخبر.وقيل خبرها محذوف تقديره ثابت أي ولو إيمانهم ثابت .

والراجح من أقوال علماء النحو والتفسير أنْ يكون(لمثوبة)جواب(لو)وإنْ قترن باللام التي يكثر اقتران جواب(لو)المثبت بها والجواب هنا جملة اسمية وهي لا تقع جواباً لـ(لو)في الغالب وكان هذا الجواب عند بعض المفسرين غير ظاهر الترتب والتعليق على جملة الشرط لأن مثوبة الله خير سواء آمن اليهود واتقوا أم لم يفعلوا.

ومن هنا اضطر بعض النحويين إلى القول بحذف الجواب والتقدير أيْ:لأثيبوا ثمّ ابتدأ كلاما هو(مثوبة من عند الله خير).وهو لا يخلو من التكلف.

والأولى الركون إلى ما قاله الزمخشري في تفسير مجيء جواب لو جملة اسمية.ولم يكن فعلية مع أنّها الغالب في جواب لو الامتناعية أنّه لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها وفهم ابن عاشور أنّ مراد الزمخشري أن يكون تقدير الجواب لأثيبوا مثوبة من الله خيراً لهم مما شروا به أنفسهم،أو لمثوبةً بالنصب على أنه مصدر بدل من فعله،وكيفما كان فالفعل أو بدله يدلان على الحدوث فلا دلالة له على الدوام والثبات[١٢٩]ولهذا التوجيه النحوي

على المعنى،وإذا حملتها على العبارة القرآنية فيتضح أثرها من حيثيات فتح أفق التفسير على الدقة والاتساع.

ومنه قوله تعالى:{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}(البقرة٢٦٦)فذهب الفراء(ت ٢٠٧هـ)إلى أنّ معناه يصيبها إعصارٌ؛وذلك لوقوع الفعل(ودّ)على(أنْ) الداخلة على المضارع المنصوب بها فيعطف عليه بما لفظه المضي والمعنى المستقبل.(١٣٠)وتعد هذه المسألة من الألوان الرئيسة في عناية علماء العربية الأوائل كالخليل وسيبويه والفراء وشيخه بالتوجيه النحوي في سبيل الكشف عن المعنى .

إنّ لهذه الشواهد أثرا في رسم القاعدة النحوية في التوجيه الوظيفي للمفردة في بناء الجملة العربية وتفسير الإعراب فيها،وذلك من خلال الركون إلى القرائن الحالية الدالة على مقام الخطاب،والقصة،والقرائن اللفظية كما سبق.

ولعلّ من مصاديق ذلك في معرض التطبيق العلمي لبيان أثر هذا التوجيه النحوي على المعنى ومعطياته التفسيرية ما يكون معه الحكم النحوي وتوجيهاته اللغوية مقياسا لضبط صدق المعنى التفسيري وبيان قوته وشدة ملاءمته للقصد من بناء العبارة في القرآن الكريم مما يصلح أنْ يكون مسارا لمجرى التحليل اللغوي والأدبي للنصّ الفني،كما هو الحال بالنسبة للشعر العربي الذي سبق بيان الصورة العلمية النحوية فيه مما يصير أفقا للتحليل النقدي في سبيل الكشف عن المعنى.

من ذلك قوله تعالى من سورة النمل:{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ(٨٢)وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٨٤)وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ(٨٥)أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ(٨٧)وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ(٨٨)مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ(٨٩)وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٩٠)إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٩١)وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ(٩٢)وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٩٣)}وبيان ذلك بالشكل الآتي:

أ- في قوله(وإذا وقع... أخرجنا)المعنى يقع.. نخرج؛وذلك أنّ(إذا)شرط لما سيقع في دلالتها على المستقبل والدليل عليه قوله تعالى(تكلمهم)فالسياق منطو على الخبر عما سيكون في المستقبل بسبب عدم إيمان الناس الذي عبّرت عنه الجملة التي أضفى عليها الفعل(كانوا)صبغة المضي من قوله(تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ).وهو ما عليه التفسير(١٣١)من تعلق الحدث من وجوب عذاب الله عليهم وهو المعبر عنه بالقول،وذلك كقوله تعالى:{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}(الزمر٧١)فذلك في يوم القيامة وهو ما يستقبلنا وهو المعبر عنه بالساعة والمعنى في(وقع)بالنسبة لاتصاله بـ(إذا)بمعنى إذا كان وحدث في المستقبل بمعنى يقع الواجب من تعذيبهم،ويحدث الأمر،ويحين المقول فيهم من العذاب؛وذلك لاتصال سياقه بقوله تعالى(يوم نحشر).

وما يؤكد ذلك من وقوعه بهيأة الماضي والقصد المستقبل قوله بعده(قال:أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)لأنّ القول بعد الحدوث والحشر وهو الحساب والسؤال عما كان صدر منهم قبل الوقوع والحشر من سلوك.

ب- وفي قوله(يوم نحشر)فهو على بابه من الدلالة على المستقبل بقرينة لازمة وهو لفظ(يوم)وللقرآن سنة في هذا النحو من التعبير **فقد اطرد تعبيره بالفعل المضارع في كلّ موضع ذكر فيه لفظ(يوم)متصلا به فذلك لدلالته على المستقبل وتناسق اللفظ واتساق المعنى**،ومنه قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}(طه١٠٢)،**واستعمل الماضي(حشر)في كلّ موضع لم يذكر فيه لفظ (اليوم)**وذلك كقوله تعالى:{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}(الأحقاف٦) وذلك وإنْ كان مما سيقع يوم القيامة لكنّه لما اقترن بـ(إذا)كان على هيأة الماضي والقصد المستقبل(وكانوا) بمعنى يكونون .

أمّا قوله تعالى{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٤٧)وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا}(الكهف٤٨)من استعمال الفعل الماضي(حشرناهم)على الرغم من سبقه بلفظ(يوم)ووقوعه في حيزه السياقي فذلك لغرض بلاغي كبير وهو تنزيل ما لم يقع بعد بمنزلة ما تحقق فعلا،ووقع تأكيدا وتحقيقا للموضوع الذي تعرضه الآية من وجوب الاعتقاد بيوم القيام وما يكون فيه مما أخبر الله تعالى عنه.

وأمّا قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}(طه١٢٥)،وقوله {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}(النمل١٧)فذلك على بابه من الدلالة الوضعية والوظيفية من الزمن الماضي؛لأنّ القول كان بعد أنْ حشر فعلا فهو سأل عن هيأة الحشر كونه أعمى بعد حدوث الحشر،وفي الثانية لحكاية القصة فيما كان من شأن سليمان عليه السلام في الزمن الماضي..

ت- وما يؤكد ذلك المعنى أنّ قوله(وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ)بمعنى قوله تعالى:{فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}(الأنبياء٢٩)وقوله:{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}(الأعراف٤١)وقوله:{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(يس٥٤)فالمعنى ويقع القول عليهم بما كانوا ظالمين،والله تعالى أعلم.

ث- وقوله(أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)فكان زائدة،لكنّ بناء العبارة على(ما ذا أنتم تعملون) يدلّ على مستقبل الصريح،والحال غير ذلك فالقصد المضي فلابدّ من ذكر(كان) ليصبح المعنى ماذا عملتم؟في الماضي قبل وقوع الحشر والسؤال ونحوهما مما يكون في ذلك اليوم العظيم والله تعالى أعلم.

ج- وقوله(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ،وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)ففيه أمور:

- **الأول:** استعمال ينفخ كاستعمال يحشر مما سبق بيانه في الفقرة الثانية **فكلّما ذكر لفظ البفخ مع لفظ اليوم جاء بهيأة الفعل المضارع،وما ليس كذلك جاء لفظ الماضي والمعنى المستقبل**،ومنه قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}(طه١٠٢)وقوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}(المؤمنون١٠١)والمعنى ينفخ بدلالة(إذا)على المستقبل وقرينة (يومئذ)واستعمال الفعل(يتساءلون)بلفظ المستقبل.وكذلك قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}(يس٥١).
- **الثاني:** إنّ(فزع)بمعنى(يفزع)فجاء بلفظ الماضي للدلالة على المستقبل تعبيرا عن تأكيد وقوع الحدث من الفزع فعبر عما سيقع في المستقبل بلفظ ما تحقق تأكيدا وتثبيتا لتحققه.ومنه قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}(سبأ٥١)**فلما يفزعوا فالمعنى(إذ يفزعوا)؛لأنّه مما يكون يوم القيامة.**
- **الثالث:** قوله(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا)فهي من أسباب الفزع،وفي استعمال الفعل (ترى)بهيأة المستقبل دلالة على أنّ(فزع) معنى يفزع

ح- قولـه(وَمَنْ جَـاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِـي النَّـارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فـالمعنى الذين اقترفوا السيئات تكبّ وجوههم الآن – يوم الفزع والحشر والنفخ – فجاء لفظ المضي والقصد الحال تأكيدا وتثبيتا لحدوث الفعل(كبّت)وذلك بقرينة الاستفهام(هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)كما سبق بيان آيات الجزاء في الدلالة على الحال كأنّه قال: اليوم نجزي الظالمين فتكبّ وجوههم ... .

خ- قوله(فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ)فالمعنى كالذي في قوله:{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(١٣)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤)مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}(الإسراء١٣-١٥)فلما كان المقام من الخطاب تفصيلا لما يكون في يوم القيامة كان البناء اللغوي كاشفا عن مسار الأداء الوظيفي لألفاظ السياق بما هي رموز في تفسير المعنى من حيث تكون آليات تفسير النص من معطيات التحليل اللغوي وفيما يأتي تفصيل ذلك:

- إنّ معنى(ألزمناه)ليس المضي بل مبناه على تعلقه بـ(جعلنا)في الآية السابقة وهي كقوله(كتبنا)والمعنى(أوجبنا)بالنسبة لزمن التكوين والجعل على كلّ إنسان أنْ يلزم/يكون طائره في عنقه لتعلق زمن الحدث الفعلي بما هو مستقبل بالنسبة لزمن الخطاب،ويكون عبّر عن المستقبل بهيأة الفعل الماضي ليكون ما لما يقعْ بمنزلة ما وقع فعلا تأكيدا وتثبيتا وتحقيقا وترسيخا للعقيدة بذلك الجعل الذي هو بالنسبة للمخاطب خبرٌ غيبيّ.
- ولذلك استعمل المضارع بعده وهو قوله(نخرج،يلقاه)لاتصاله اللفظي والاسنادي بـ(يوم القيامة)وهو كما سبق بيانه بالنسبة للحشر والنفخ.
- ومن هنا يكون(فمن اهتدى)في زمن قبل الحساب فقد اهتدى لنفسه،وحينئذ يتعين أنّ الفعل المضارع في قوله من الموضعين(...فَإِنَّمَا يَهْتَدِي)بمعنى المضي ولكن عبر عنه بهيأة الفعل المضارع ؛لأنّ الخطاب في مقام تصوير الحال من يوم القيامة وهو مستقبل فلهذا استعمل المضارع فيما معناه المضي لتناسبه مع الحال من الجزاء وكأنّه قال:فمن اهتدى فإنّما نجزيه فيكون بالنسبة لوصف ذلك اليوم حال،وبالنسبة للمخاطب مستقبل. والمعنى فإنّما اهتدى لنفسه.
- أمّا الآية موضع البحث من سورة النمل فذلك على هذا النحو من التحليل باستعمال المضارع فيما هو مستقبل فعلا؛لأنّ المقام فيه من بيان ما سيكون عليه حال من اهتدى فالقصد فيه الحال والاستقبال لكنّ(اهتدى)بمعنى يهتدي لأنّ زمنه الحال؛لأنّه زمن الخطاب التبليغ من جهة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)ولكن عبّر عنه بالمضي والقصد الحال.وذلك جريا على سنة التعبير القرآني من تنزيل ما لما يكن مما هو في المستقبل منزل ما وقع وحصل تأكيدا وتثبيتا.كما قال:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}(القصص٧)ورادوه وجاعلوه لمّا يقع.وقوله(خفت)بمعنى ما هو حال بدليل النهي بعده(ولا تخافي،ولاتحزني).

د- في قوله(شاء، يشاء،أراد،جعل،اتقن،..ومشتقاتها)فكلّ فعل يسند إلى الله تعالى فهو على بابه من الدلالة على المضي أو الاستقبال لأنّه تعالى قديمٌ ودائمٌ فيكون استعمال الفعل بأيّ هيأة كانت دالٌ على العموم بالنسبة إليه تعالى،ولم يكن تنوع استعماله من التنويع اللفظي؛ولكنْ.. ليدلّ على مقام الخطاب من العموم والاتصاف بالمضي أو الحال أو الاستقبال كقوله تعالى{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(يونس١٠٧)فذلك للعموم والشمول الزمني من المشيئة والمسّ والإرادة. وكذلك قوله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}(الاسراء١٦)فتعلق قوله(أردنا)بالنسبة إليه تبارك وتعالى دال

على الدوام والقدم من حيثيات الماضي والمستقبل.وكذلك قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا...الآية}(القصص٥)لدواء توريثه وجعله وتمكينه وإراءته؛وذلك أنّ((الخبر عن الله – تبارك وتعالى- في هذه الأشياء بالمضي،كالخبر بالاستقبال والحال؛لأنّ الأشياء عند الله – تبارك وتعالى-في حال واحدة،ما مضى،وما يكون،وما هو كائن))(١٣٢)وذلك غير محتاج إلى القرينة الصارفة إلى القصد،والكاشفة عنه لاتضاح المقام في حقه تعالى من القدم والدوام بالنسبة لمسألة الزمن .

بينما لا يكون ذلك في غير هذا المقام من نسبة الفعل لغيره تبارك وتعالى كما في قوله تعالى:{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}(القصص٤)فاستعمل الماضي من حيث كان الخطاب خبرا عما مضى فقال(علا،وجعل)ولما كان الوصف من القصة بما كان الحال استعمل(يستضعف،يستحيي)والمعنى استضعف واستحيى.وذلك للقرينة عليه كقوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(النحل٤٣)فمعنى(نوحي)أوحينا بقرينة من قبلك؛لكنّه عبر بالمضارع لاشتماله على الزمن الحال،وقال:{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ}(الزمر٦٦)والمعنى نوحي إليك كما أوحي إلى الذين من قبلك فعبر عن الموضعين بالمضي بملاحظة التحقق فعلا والتثبيت والخبر وما في ذلك من تحقيق التناسب بين طرفي الآية.والله تعالى أعلم.

٣ - / الغاء(كان)وتأثر السياق اعرابيا وكشفه عن المعنى:

الالغاء ضرب من قواعد الصناعة النحوية،ويحسبه الباحث من ألوان التعبير عن المعنى فمعنى السياق مع الالغاء غيره قبل الالغاء،وقد عرضتْ المطولات النحوية لشروطه بما يغني عن إعادتها وتفسيرها إلا بقدر ما تتطلب الحاجة إلى ذلك.(١٣٣)

وقد عرض الخليل لهذا النوع من الاستعمال اللغوي في كلام الفصحاء من العرب، وفي التعبير القرآني وعرض على هديه علماء العربية شروط زيادتها بأن تكون لفظ الماضي،وأنْ تكون بين شيئين متلازمين ليسا جارا ومجرورا،وذلك في غير جملة أفعل التعجب إذ تزاد بينه وبين ما في نحو:ما كان أجمل الورد.(١٣٤).

وقد قدم الخليل في هذه المسألة شواهد من الشعر العربي الفصيح فقال:((وقد يرفعون بـ(كان)الاسم والخبر،فيقولون:كان زيدٌ قائمٌ.))(١٣٥)وهو يقصد إلغاء عمل كان وفي ذلك مضرب يكشف عن لون من أنماط التعبير عن المعنى المقصود.

فيرى الباحث في هذا الشأن فرقا دقيقا في المعنى لايكاد يلحظ.فـ(زيدٌ قائمٌ بأعمال تجارته)تعطي معنى ثبات الوصف كونه قائما في زمن الخطاب الحال واستمراره حتى الزمن المستقبل وذلك من حيث دلالة الجملة الاسمية.

بينما الجملة(كان زيدٌ قائما بأعمال تجارته)تكشف عن معنى كونه في السابق وقد يمكن أنْ يكون اليوم غير قائم بالنسبة لزمن الحال.ومن هنا ستكشف الجملة(كان زيدٌ قائمٌ بأعمال تجارته)عن كونه كذلك في زمن مستمر من المضي حتى الزمن الحاضر

ومن ذلك تقول:كيف تُكلِّم من كان غائبٌ؟أي:من هو غائب على إلغاء كان.قال تعالى:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}(مريم ٢٩)ففسر الخليل معنى النصب:من هو في المهد.على إلغاء(كان)ونصب(صبيا)على الحال.(١٣٦)فكأنّه قال: كان وما زال غائبا.

وكأنّه قال:(هو في المهد)فاكتمل نصاب الجملة من المسند والمسند إليه ثمّ قال: (صبيا)في وصف حاله من التكليم لبيان أهليته للكلام ولاسيما أنّ سياق الاستفهام جاء بأداة السؤال عن الحال.وذلك كما تقول:(زيد في الدار قائما/ويصحّ:قائمٌ)باختلاف المعنى مما سبق بيانه في هذا البحث من توجيه الموضع الاعرابي بين كونه خبرا مرفوعا،أوحالا منصوبا تبعا للمعنى المقصود.

وجعل المبرد(ت٢٨٥هـ)كان في الآية محل البحث للتوكيد وقدّر الكلام على نحو ما صنع الخليل في جمله(كيف نكلم من هو في المهد صبيا)والنصب على الحال، وصرفها أبو البركات الانباري(ت٥٧٧هـ)إلى معنى (صار،حدث،وقع)[١٣٧]على التضمين مما كان بيانه في الفقرة السابقة وفيه نظرٌ.

ويصحّ،عند الباحث،من جهة الصناعة إلغاء شبه الجملة(في المهد)بملاحظة طريقة سيبويه في الصناعة النحوية[١٣٨]ويكون(صبيا)خبر كان واسمها الضمير العائد على الموصول؛لكنّه لايصحّ في المعنى لأنّ القصد من الخبر أنْ يكون في المهد وهو موضع الآية المعجزة والدليل على صدق مريم ونبوة عيسى عليهما السلام فالمقصود التكليم في المهد لا في غيره وذلك قوله تعالى:{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ}(آلعمران٤٦،المائدة١١٠)فكونه في المهد هو المقصود،وليس كلّ صبيّ في المهد، فعبر القرآن عن يحيى بن زكريا عليهما السلام بالصبيّ وهو لم يكن في المهد،وذلك قوله تعالى:{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}(مريم١٢)؛ولذلك أنكر أبو البركات الأنباري(ت٥٧٧هـ)أنْ تكون(كان)في الآية ناقصة،وتأوّلها بمعنى:(صار وحدث)فقال:((ولا يجوز أنْ تكون(كان)ههنا ناقصة؛لأنّه لا اختصاص لعيسى في ذلك ،لأنّ كلاّ قد كان في المهد صبيا،ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبيّ،وإنّما العجب في تكليم من هو موجود في المهد في حال الصبيّ،فدلّ على أنّها ههنا بمعنى:وجد وحدث))[١٣٩]والقول بتضمينها مخالف قول من جعلها زائدة؛ذلك بأنّ الزيادة ما يمكن حذفها من دون اختلال نظام الجملة من حيثيات أداء المعنى المقصود وهو غير كونها بمعنى حدث؛لأنّ ذلك يعني كونها التامة وهي عمدة في الكلام يختل نظامه وعنوانه عند حذفها وهو واضح.

فإذا قلت: فكرت بالقراءات القرآنية،فكان هذا البحث.وكان هنا التامة بمعنى صار، وقع،حدث.فحذفها لا ينقص المعنى فقط.بل يختلّ له سائر نظام الجملة:(فكرت بالقراءات القرآنية،هذا البحث).

قال الخليل:وتقول:مررت بقوم،كانوا،كرامٍ.ألغيت(كان)وأردت:مررت بقوم كرام.ومنه قول الفرزدق:(الوافر)

فكيف إذا أتيت ديار قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ؟

والمعنى ديار قوم وجيران كرام على إلغاء(كانوا)وحملَ ابن فارس عليه قوله تعالى:{قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(الشعراء١١٢)وذلك على معنى:بما يعملون؛لأنّه كان عالما بما عملوه من إيمانهم به[١٤٠]وربما كان ذلك بالغاء عمل كان دون معناه لظهوره في تحقيق معنى الحدث،قال الأعلم الشنتمري في شرح شواهد سيبويه((الشاهد فيه:إلغاء(كان)وزيادتها توكيدا وتبيينا لمعنى المضي،والتقدير:وجيران لنا كرام كانوا كذلك،وقد ردّ المبرد هذا التأويل وجعل قوله:(لنا)خبرا لها.والصحيح ما ذهب إليه الخليل وسيبويه من زيادتها؛لأنّ قوله: لنا من صلة الجيران،ولايجوز أنْ يكون خبرا لكان إلاّ أنْ تريد معنى الملك،ولايصحّ الملك ههنا؛ لأنّهم لم يكونوا لهم ملكا إنّما كانوا لهم جيرة،فالجوار هو الخبر ولنا تبيينٌ له))[١٤١].

ويرى الباحث أنّ ذلك على اتباع الصفة لمعنى استمرار زمن كونهم كذلك بينما يكون نصب (كرام)على معنى انقطاعهم في الزمن الحال وكونهم كراما في الزمن الماضي.ومن جميل ما يجب ذكره على هذا المعنى أنّ الفعل(أتيت)بلفظ الماضي والمعنى المستقبل(فكيف إذا تأتي...).

وزاد سيبويه في إلغاء كان إذا وقعت في سياق(إنّ) والمعنى التنبيه أو التعريف قال:((وقال الخليل:إنّ من أفضلهم كان زيدا على إلغاء كان وشبّهه بقول الشاعر وهو الفرزدق... وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ.وقال:إنّ من أفضلهم كان رجلا يقبحُ؛لأنّك لو قلت: إنّ من خيارهم رجلا ثمّ سكتّ كان قبيحا حتّى تعرفه،أو تقول:رجلا من أمره كذا وكذا.وقال:إنّ فيها كان زيدٌ على قولك: إنّه فيها كان زيدٌ. وإلاّ فإنّه لايجوز أنْ تحمل الكلام على(إنّ)...))[١٤٢].وهذا على تقدير ضمير يكون اسم إنّ وزيدٌ خبرها وكان ملغاة.

وقد انفرد أبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)فبعد أنْ أورد بيت الفرزدق محل الشاهد على زيادة كان،ونقل قول النحويين بزيادتها ووصفه أنّه قول النحويين أجمعين قال: ((وهو عندي على خلاف ما قالوا من إلغاء(كان).وذلك أنّ خبر(كان)(لنا)،فتقديره وجيران كرام كانوا لنا))[١٤٣]على أنّ شبه الجملة هي الخبر.

ونقل الزجاج (ت٣١١هـ)عنه جواز القول بزيادتها في قوله تعالى:{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}(النساء٢٢) على أنّ المبرد لم يعرض لهذه الآية فقال بعد انتهائه من تفسير الآية: ((وقال أبو العباس محمد بن يزيد:جائز أنْ تكون(كان) زائدة،فالمعنى على هذا:إنّه فاحشةٌ ومقتٌ،وأنشد في ذلك قول الشاعر:(...وجيران لنا،كانوا،كرام).قال أبو إسحاق:هذا غلط من أبي العباس؛لأنّ(كان)لو كانت زائدة لم تنصب خبرها،والدليل على هذا البيت الذي أنشده (وجيران لنا،كانوا،كرام)ولم يقل:كانوا كراما)) [١٤٤] نعم..يرى المبرد كان في الآية(كان في المهد صبيا)زائدة اجتلبت لمعنى التوكيد ولكنْ..في نفس الباحث من نقل الزجاج عن المبرد شيء لأنّ المبرد لم يقل بزيادة كان في قول الفرزدق كما هو مثبت في كتابه.ولم تكن الآية محل الشاهد (كان فاحشة ومقتا)من شواهد المبرد.ومن هنا تفهم عبارة الأستاذ المحقق محمد عبد الخالق عضيمة بقوله:إنّ هذا النقل شاذٌ ولكنّ الزجاج أعلمُ بمذهب شيخه.وذلك بعد أنْ فتشتُ في مطولات النحو والتفسير النحوي والاعرابي للقرآن عن قول للمبرد يؤيد ما نقله الزجاج فلم أقف على شيء من ذلك.

ويبدو من نصّ الزجاج أنّه يقصد النصب في الآية خبر كان(فاحشة)مما يعنى كونها غير زائدة،أمّا في البيت فلم تنصب خبرا،فهي زائدة،في استدلال المبرد،وفي كلام الزجاج اضطراب بينٌ أو قطع وسقط في العبارة.

ويمكن في رأي الباحث توجيه البيت الشاهد على التقديم والتأخير بحسب ما عرضه المبرد نفسه مما سيأتي بيانه،أيْ:وجيران كرام كانوا لنا.والمعنى:أنّهم ليسوا جيراننا الآن.كما يمكن اعتماد هذا التوجيه من غير أنْ نصدرعن مسألة التقديم والتأخير وكان زائدة من حيث الأثر الإعرابي ومعناه أنّهم جيراننا في الماضي وليس الآن،وهو الأرجح عند الباحث لما تقدم من تحليل سيبويه أنّ(لنا)من صلة جيران فلا يجوز كونها خبرا لـ(كان)فهي ملغاة إعرابا وليس معنى.

ومن مجاري زيادة كان وإلغائها قوله تعالى:{قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(الشعراء١١٢)والمعنى بما يعملون على ما ذكر الثعالبي[١٤٥]ولست أتفق معه في التوجيه على زيادة(كان)فالمعنى بما عملوا ولما ذكر(كان)دلّ على أنّه عملٌ في الماضي المستمر حتى زمن الاتباع لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله.وسياق الآيات السابقة واللاحقة دال على هذا المعنى الذي يراه الباحث من.قوله تعالى:{قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ:وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ} (الشعراء١١١-١١٣)فالمقصود نفي علمه بالذي عملوه في زمن قبل الاتباع.

وأما قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}(آل عمران١١٠)قال الخليل:((فالمعنى: أنتم خير أمةٍ.وقال بعضهم:معناه:كونوا خير أمة.وهو أصحّ مما فسره المفسرون)) [١٤٦]إذ قالوا المعنى:وجدتم على هذا الوصف فتكون(كان)تامة ونصب(خير أمة) على الحال،وفسرها القرطبي(ت٦٧١هـ)بتفسير الخليل على أنّ(كان)زائدة ملغاة والمعنى أنتم خيرُ أمة وجعله كقوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ}(الأعراف٨٦) فالمعنى إذ انتم قليلٌ كما قال:{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ}(الانفال٢٦)[١٤٧]وهو من تفسير القرآن بالقرآن.

ومن إلغاء(كان)ما ذكره الخليل وتبعه النحويون على ذلك قول الشاعر:(الوافر):

إذا ما المرء كان أبوه عبسٌ فحسبك ما تريد من الكلام

فقد رفع(الأب)وعبسٌ خبره ولم يعبأ بـ(كان)ومثله قول الآخر(وهو العجير السلولي):(الطويل):

إذا متُّ كان الناس صنفان:شامتٌ وآخر مثن بالذي كنت أصنعُ

ومعناه فشأن الناس صنفان.وتأوّيلها أنّ ضمير الشأن والحديث اسمها و(الناس صنفان)خبرها في محل نصب[١٤٨].وهو تأويل لا يمنع من زيادتها في الكلام،ومن روى البيت بنصب صنفين لم يكن البيت شاهدا.

ولم يقتصر السماع على زيادة(كان)وإلغائها بل ورد بزيادة أمسى وأصبح مما عدّه ابن مالك شاذا،ونقل السيوطي جوازه عن الكوفيين ومنه قول الشاعر:(السريع):[١٤٩]

عدوّ عينيك وشانيهما أصبح مشغولٌ بمشغول

فرفع(مشغولا)ولم يعبأ بـ(أصبح)ومن رواه مشغولا فلا زيادة ولا شاهد في البيت.

خامسا/أثر التوجيه النحوي لحالة اللفظ الإعرابية من الرفع والنصب على المعنى:

للعرب سرّ في استعمال اللغة يتصرفون بالكلام على حدّ ما يقصدون فمرة يبنى التعبير على نمط التقديم،ويبنى في أخرى على نمط التأخير لما لهما من ميزات العناية بالكلام،ومرة يرفعون ما كان يهمهم الالتفات إليه،لا يبالون اسما كان أم خبرا،إذا جعلوه اسما،وهو ما جعله سيبويه إجراء الكلام على غير حاله اهتماما منهم به،لكنّه في الوقت نفسه يرشد إلى الحفاظ على مسار قواعد العربية إذ يقرر الابتداء بالمعرفة والنكرة خبره، فإنْ كانا معرفة قال: أنت بالخيار أيهما رفعت تنصب الثاني وذلك نحو: كان أخوك زيدا، وكان زيدٌ أخاك وصاحبك.[١٥٠]وهو معنى مقصودا من حيثيات بناء العبارة بما تتصف بالبلاغة من جهة تعلق الكلام بأداء صورة المعنى قصد صرف انتباه المتلقي إلى ما يريد المتكلم الاهتمام به وصرف العناية إليه . ومن هذا النحو قول الشاعر: (الوافر)

وكنا الأيمنين،إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا

فكانت العناية ببيان حال بني أبيهم وكأنّه سئل عنهم فأجاب،وهو كونهم الأيسرين.ولو كانت العناية ببيان الموقع ومن فيه لرفع وقال(وكان الأيسرون بني أبينا).

ومثله قول الآخر:(الطويل)

لقد علم الأقوام ما كان داءها بثهلان إلا الخزي،ممن يقودها

جعل(الخزي)اسما،و(داءها)خبرا[١٥١]على التقديم والتأخير بملاحظة أثر ذلك على المعنى فالنصب على أنّه يصف الخزي بأنّه داؤها،ويمكن الرفع باختلاف هذا المعنى بأنْ يصبح الكلام بيانا عن سبب دائها فينصب(الخزي)خبرا،هكذا أمر المعنى في هذه المسألة عند الباحث وتبني العرب كلامها للقصد بالنظر إلى مستوى عود الضمير من التذكير والتأنيث فقد حسن رفع الخزي مع تذكير الفعل(كان)وهو نفسه يصلح للداء لأنّه مذكر وسيأتي البيان في أثر ذلك على التوجيه النحوي في الكشف عن المعنى من خلال الشواهد المعروضة وتلون القراءة فيها كقوله تعالى:{مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا}(الجاثية٢٥)وقوله تعالى:{فكان عاقبتهما أنهما في النار}(الحشر١٧)وقوله: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}(الأعراف٥)فالفعل (كان)مذكر والحجة والدعوى مؤنث فتعين أن يكون(أنّ وما في حيزها)اسما لها وسيأتي بيانه.

ومن شواهد الخليل في هذه المسألة[١٥٢]قوله تعالى:{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(الاعراف٨٢).فلفظ(جواب)ينصب على أنّه خبر كان وهو ما نقرأ به اليوم والمثبت في مصاحفنا،ويرفع على أنّه اسمها مع ملاحظة اختلاف المعنى على ما سبق بيانه عند الباحث فنصب(جواب)دلالة على أنّ قولهم أخرجوهم هو المتحدث عنه الموصوف بأنّه الجواب،ولا قول لهم غيره يكون جوابا.ورفعه بمعنى أنّ القول جوابهم ولهم غيره من القول أو الفعل.وهو ما عبّر الخليل عنه بتقديم الأهم،وهو الجواب خبرا لكان لأنّ القول هو ما يسأل عنه أهو جوابهم أم لهم شيء آخر يقع جوابا لقوله لهم باللوم والتعنيف ويشهد لصحة هذا التحليل في الكشف عن المعنى تمام القصة من قوله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(٨٠)إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(٨١)وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}.

ومن هنا يظهر،في رأي الباحث،أنّ مستوى الأهمية في تعبير الخليل((ويرفعون ما كان أهمَّ إليهم))[١٥٣]هو ما يكون الحديث عنه من الوصف وبيان الحال؛لأنّ المرفوع عمدة في كلام النحويين وهو علم الإسناد والضمة علامته بحسب تعبير علماء العربية من المحدثين[١٥٤].

ومما جرى على هذا النحو،أيضا،قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجاثية٢٥)فالقراءة المثبتة في المصحف هي نصب(حجتهم)خبرا لكان لأنّ العرب تبدأ بالمعروف قال سيبويه:((لأنّه إنما ينبغي لك أن تسأله عن خبر من هو معروف،كما حدّثته عن خبر من هو معروف عندك فالمعروف هو المبدوء به ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس وهو النكرة))[١٥٥]ويقصد بالمعروف المعرفة فيما يقابل النكرة وقد ساق عليه شواهد كثيرة من كلام فصحاء العرب ثمّ قال يعرض المسألة:((تقول: من كان أخاك؟ ومن كان أخوك. كما تقول:من ضرب أباك؟ إذا جعلت(من)الفاعل،ومن ضرب أخوك، إذا جعلت الأب الفاعل،وكذلك: أيُّهم كان أخاك؟ وأيَّهم كان أخوك؟ وتقول ما كان أخاك إلاّ زيدٌ،كقولك:ما ضرب أخاك إلاّ زيدٌ. ومثل ذلك قوله تعالى:{مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا}(الجاثية٢٥)وقوله:{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا}(الأعراف٨٢)وإنْ شئت رفعت الأول كما تقول: ما ضرب أخوك إلاّ زيدا. وقد قرأ بعض القراء ما ذكرنا بالرفع))[١٥٦]ويتضح من كلام سيبويه أنّ المعنى هو المتحكم ببناء العبارة وتأليف الكلام من حيثيات كيفية تأهيل اللفظ بعلامته الاعرابية وموقعه الوظيفي في سبيل أداء المعنى المقصود وذلك قوله:(تقول:من ضرب أباك؟ إذا جعلت(من)الفاعل،ومن ضرب أخوك،إذا جعلت الأب الفاعل)بأنّك تريد أن تخبر عن مضمون الخبر وتحدث عما هو معروف.

ومن هنا يتضح عند الباحث أنّ المعنى على قراءة النصب التي نقرأ بها(ما كان قولهم ائتوا بآبائنا إلاّ حجتهم)،أنّه ليس لهم قولٌ غير هذا ينهض حجة لهم.وعلى الرفع(ما كانت حجتهم إلا قولهم)أنّ لهم غير هذا حجة لكنهم احتجوا بهذه دون غيرها مما لديهم من الحجج.زيادة في أنّ النصب أليق بالمعنى فالقول هو فاعل الحجة ومنتجها وكذلك بالنسبة للدعوى،والفتنة والعكس لا يصح إلاّ بتأويل.

ومثل هذا في انحصار الحجة انحصار الدعوى من قوله:{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}(الأعراف٥)والله تعالى أعلم.

وقد تجدر الإشارة إلى أنّ الزجاج(ت٣١١هـ)تأول(أن قالوا)بمعنى(مقالتهم)وهو، وإن كان سليما،لكنّه يخالف الفعل من حيث التذكير والتأنيث قال:((وموضع(أنْ) الأحسن أن يكون رفعا،وأن تكون الدعوى في موضع نصب،كما قال جلّ ثناؤه:{مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا}ويجوز أنْ يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في موضع رفع إلاّ أنّ الدعوى إذا كانت في موضع رفع فالأكثر في اللفظ(فما كانت دعواهم)...لأنّ الدعوى مؤنثة في اللفظ))[١٥٧].

وعلى هذا النحو استشهد الخليل بقوله تعالى:{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}(الحشر ١٧).قرأ عاصم بالنصب(عَاقِبَتَهُمَا)وقد حسّنه الزجاج،ولكن أورد قراءة برفع(عاقبتهما)اسما لـ(كان)وخبرها(أنّ)وما في حيزها،

والرفع قراءة جماعة من القراء وجعلها السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)كالقراءة في قوله تعالى:{ثمّ لم تكنْ فتنتُهم إلاّ أنْ قالوا}(الانعام٢٣)على أنّ الفتنة هي اسم كان فيقرأ بالضم وكان بالتاء وهو المشهور الذي نتعبد به اليوم المثبت في المصحف واستحسنه الفارسي في حجته للقراء السبعة لاتفاق التاء وتأنيث اسم كان،وتقرأ بالياء والنصب والمصدر اسم كان في الموضعين[١٥٨]وهو الأوجه من حيثيات الصناعة النحوية؛ذلك أنّ الفتنة تكون نكرة وهي بالخبر أولى،ولا يكون المصدر إلا معرفة وتقرأ(كان)بالياء لذلك.وبين القراءتين فرقٌ مفاده:أنّ الرفع بيان لعلة الفتنة،والنصب بيان لصفة القول.ويختلف لذلك الحكم بحسب المعنى المقصود من بناء العبارة.وليس أمر القراءة شيئا يخضع للرغبة والتجوز في أوجه العربية؛ذلك أنّ القرآن الكريم جاء على سمت أساليب العرب في تأليف كلامهم في التعبير عن المعاني والأغراض المقصودة وهم يرفعون الألفاظ وينصبونها تبعا لمقدرتها على أداء تلك المعاني((ويرفعون ما كان أهمّ

إليهم، لايبالون اسما كان أم خبرا إذا جعلوه اسما))[١٥٩]وذلك أنّ الرفع دال على ارتفاع الشأن،وثباته زيادة في كونه العمدة وموضع الحديث والوصف فيأخذ مكانا عليا من اهتمام المتكلم والمخاطب معا.

وتنصب العاقبة خبرا مقدما لها والاسم أنّ وما في حيزها على القراءة المشهورة في ذلك؛لأنّ الاسم أعرف من(عاقبتهما).ومن شرط كان وأخواتها إذا اجتمع فيهنّ معرفة ونكرة كانت المعرفة أولى بالاسم والنكرة أولى بالخبر ومن هنا أجمع القراء على قراءة قوله تعالى:{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا}(النمل ٥٦،والاعراف٨٢).فكانت الياء أولى؛لأنّ الفعل للقول وليس للفتنة وتكون الفتنة والجواب خبر كان مقدما.

أمّا القراءة بالتاء ونصب الفتنة فتنطوي على التأويل وضعف الحجة بأنّ القول فتنة وبالعكس فجاز أنْ يحلّ أحدهما محلّ الآخر،زيادة في أنّ المصدر يؤنث ويذكر مما يجعله ملائما للتاء والياء.[١٦٠]

وأمّا قوله تعالى{وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}(آل عمران١٤٧)فيقرأ (قولهم)بالرفع اسما لكان وإنّ وصلتها خبرا لكان والمثبت في المصحف على قراءة عاصم،النصب خبرا مقدما على ما ذكره العلماء[١٦١]وفي قراءة الرفع غرابة وضعف ومخالفة فالغربة أنّ النحويين دافعوا عن هذه القراءة مع أنّ(قولهم)و(أن قالوا)بمثابة الشيء نفسه فكلاهما ينشط للاسم والخبر وعند التساوي ينشط اتباع الوارد المطرد مما سبق بيانه بمجيء الاسم بعد إلاّ ،ولاداعي للالتزام بقاعدة المتقدم أولى لأنّه ليس كـ(أكرم موسى عيسى) ولانعدام اللبس.نعم..(قولهم)هو(أن قالوا)ويصير(أن قالوا) إلى(قولهم) لكنّ معنى السياق مختلف.

وأمّا الضعف فذلك لإغفال معنى الكلام فالتقدير عندهم:(كان قولهم قولهم ربنا..)،وتأويله:(وما كان قولهم شيئا من الأقوال إلاّ هذا القول الخاص)على ما فسّره السمين الحلبي.

وأمّا المخالفة ففي محتوى تعريف الخبر أنّه الجزء المتتم والمفسر للاسم من حيثيات بيان صفته وحاله فقولهم الاسم وما بعده وصف وبيان له والمعنى كان قولهم الدعاء والحصر بـ(النفي والاستثناء)بيانا لانحصار القول بعبارة(ربنا اغفر لنا...) فحق الآية الحفاظ على قراءة النصب فحسب،والوجه في ترجيح الزجاج والأخفش قراءة النصب.قياسا على قوله تعالى{ما كان جواب قومه، وما كان حجتهم}بقوله الأكثر أنْ يكون الاسم بعد(إلاّ) للفرق في المعنى فإذا كان قولهم خبرا وأنْ وما في حيزها الاسم على معنى(ما كان قولَهم إلاّ استغفارُهم/ أيْ كان استغفارهم هو ما قالوه ولم يكن لهم غيره قولا)فذلك أنّهم لا قول لهم غير الاستغفار مما يدلّ على الملل والضعف ونحو ذلك ويشهد لهذا المعنى القصة من سياق الآية قوله{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦)وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(١٤٧)}وهو معنى أليق بمقام النبي ومن معه على الصبر.

<u>سادسا / التوجية النحوي في الجملة الفعلية(أن+ الفعل) :</u>

لم يكن للدرس النحوي أن يغفل جانبا من تقسيماته العلمية فكان التوجيه النحوي يتناول النص القرآني شاهدا في تحليل قواعده،وتفسير معناه من طريق النحو حتى ليمكن القول:إنّه المعنى النحوي الذي يؤدي إلى كونه معنى تفسيريا للنصّ نفسه.

ولم يغفل النحويون هذه المسألة من التفريق بين نوع الأداة التي يصدر عنها أثرٌ إعرابيٌ تظهر صورته على اللفظ المعرب كـ(أنْ)التي تعددت ألوان استعمالاتها مما عرضه النحويون كالخليل وسيبويه وأضرابهما،وما جمعه الأستاذ عضيمة في دراسته لأسلوب القرآن الكريم،والاستاذ عباس حسن وغيرهم[١٦٢].

وإنّ للقراءات القرآنية المطردة المشهورة أثرها في تلوين المعنى للجملة القرآنية ببنائها اللغوي فإنّ القراء الأعلام يعتنون بطرائق العربية وتعددها فلربما قرأ قارئ بخلاف غيره وهو يتحرى طريقا من مشارب العربية يقصد به معنى وإنْ خالف المأثور،ومن هنا قد تجد القراءة

تأتي بلونين على كون النص مبنيّ على الحرف المصدري الناصب(أنْ)وقد يكون هو أنْ غير الناصبة للمضارع وهي المخففة وهم يتبعون في ذلك الأثر ويتحرون طريق العربية وسمت العرب الفصحاء وقد بيّن أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)ذلك بملاحظة القراءة وهو يحاول توجيهها على طريق الصناعة النحوية ونحن نعيد قوله السابق هنا:((والقراء قد يتبعون مع ما يجوز في العربية الآثار،فيأخذون بها ويؤثرونها إذا وجدوا مجاز ذلك في العربية مجازا واحدا))[١٦٣]ومن هنا وجد الباحث هذه المسألة يتنازعها تعدد القراءة فيها،واختلاف الرواية بالنسبة للشاهد الشعري مما سيرد في طيّ صفحات البحث القابلة.وفيما يأتي تفصيل ما يتعلق بقدر هذه الدراسة مما ورد عن الخليل تفسير شواهده النحوية من القرآن الكريم مع تعدد القراءة في مسألة نصب المضارع بعد(أنْ)ورفعه:

١) كونها حرفا مصدريا ينصب الفعل المضارع على كلّ حال من اتصاله به وتسلطها عليه أو مع وجود المعترض بينها وبين الفعل كـ(لا)النافية غير العاملة ومنه قوله تعالى:{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(الشعراء٣)فقد انتصب الفعل يكونون على معنى الحرف المصدري مع اعتراض(لا)النافية بينهما.وهو كثير مطرد،وكان يجوز أنْ يرتفع الفعل على أنّ تكون(أنْ)المخففة والفعل خبر لما يكون علما ويقينا،وخوفا ورجاء،على رأي سيبويه؛لكنّ المعنى مختلف لاشتمال السياق على معنى الرجاء والاحتمال والخشية مما هو متوقع الحدوث لكنّه غير حاصل وهو ما عليه التفسير[١٦٤].

فمنه قوله تعالى{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ}(البقرة٢٢٩)فقد جاء الفعل(يُقِيمَان)متأثرا بالناصب بعلامة حذف النون على الرغم من اعتراض(لا)النافية بينه وبين عامله على حدّ تعبير النحويين ذلك لمعنى المصدر غير اليقين فالقصة في الآية تعجّ بالحركة والتغيّر دون الثبات واليقين وبناء الفعل أليق بالمقام من بناء الخبر مما تكون فيه أنْ المخففة من الثقيلة غير الناصبة.

ومنه قوله تعالى{وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا..}(البقرة٢٨٢)فجاء الفعل(أَلَّا تَرْتَابُوا،أَلَّا تَكْتُبُوهَا)متأثرا بمعنى الحرف الناصب على الرغم من اعتراض حرف النفي غير العامل(لا)بينهما.

وأما قوله تعالى على لسان نبيه:{وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(يونس١٠٤،٧٢،الرعد ٣٦،النمل٩١)ففي النفس شيء من تفسير(أن والفعل)على معنى المصدر(يكون كونا) فالقصد على تضمين الفعل معنى الجعل والصيرورة.والسياق جار على معنى الباء وليس على تقديرها أيْ:بأن أجعل نفسي من المسلمين أو هو على معنى كن فيكون أي قال لي كن فكنت من المسلمين إشارة إلى الطبع التكويني من النفس الخفية،أو يكون على معنى أمرت بكوني من المسلمين،والواضح في هذا السياق معنى اللام(لأنْ أكون من المسلمين)والله تعالى أعلم.

وأما قوله تعالى:{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}(البقرة٩٠)فمثال على عدم الاعتراض بين(أنْ)والفعل؛لكنّ سيبويه(ت١٨٠هـ)جعل(أنْ يكفروا)في الآية تفسيرا لـ(ما)وهو في غاية الدقة من الكشف عن المعنى فيرى في تحليل بنائها اللغوي كأنّه قيل:ما هو،فقال:هو أنْ يكفروا ومعناه أنّ المصدر يفسر(ما)وبه قال الكسائي(ت١٨٩هـ)فتبعه الأخفش(ت٢١٥هـ) والزجاج(ت٣١١هـ)في ذلك؛لكنّ الزمخشري(ت٥٣٨هـ)جعل(ما)نكرة منصوبة وهي المفسرة لفاعل(بئس)والمعنى (بئس شيئا)والمخصوص بالذم هو(أنْ يكفروا)[١٦٥]وتحليل الزمخشري أحجى من غيره فالمعنى على سبك المصدر(بئس الكفر الذي اشتروا به انفسهم).

٢) كونها المخففة من(أنّ)الثقيلة عند سبقها بفعل يدلّ على علم يقيني وهذه ما وقع الخلاف فيها فالمنقول كون الفعل بعدها مرفوعا غير مؤثرة عليه من حيث العلامة الاعرابية وذلك كونها بتأويل جملة اسمية والفعل خبرها بتقدير ضمير مناسب يكون اسما لها وقد مثّل النحويون له بقولهم(علمتُ أنْ يقومُ)وتأويل الكلام بتقدير(أنّه يقوم)وعللوا هذا النمط من

استعمال(أنْ)؛بأنّها غير المصدرية الناصبة للمضارع بل هي(أنّ)خففت وحُذف اسمها وبقي خبرها وهو(يقومُ)[١٦٦]وقالوا في الفرق بينهما؛((لأنّ هذه – المخففة – ثنائية لفظا ثلاثية وضعا،وتلك – الناصبة للمضارع – ثنائية لفظا ووضعا))[١٦٧]وهو تعليل لا ينهض بتفسير هذا النوع من الاستعمال اللغوي في التعبير عن مقاصد الكلام وللغويين ممن درس معاني القرآن عناية كبيرة بمواضع(أنْ)والتفريق بين أنواعها في سبيل الكشف عن المعنى الدقيق.[١٦٨]

ونُقلَ أنّ الحروف(لا،وسين التنفيس،وقد)الفاصلة بين(أنْ)المخففة والفعل هي السبب في عدم عملها النصب في المضارع،وعلل الأخفش(ت٢١٥هـ) وجود (لا) ليبينوا أنّ(أنْ)غير عاملة في هذا المكان وأنّها ثقيلة في المعنى[١٦٩]وهو رأي ينقضه مجيء المصدرية الناصبة مفصولا بينها وبين معمولها بـ(لا)،هذا من جهة.وجواز الوجهين فيما تقع في سياق الرجحان من جهة أخرى.

وكون هذه الشروط غير جامعة لمجيء لو فاصلة بين المخففة والفعل كقوله تعالى{أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا}(الرعد٣١)فيما عرضه النحويون.

ويرى الباحث في مجيء الفعل غير المتصرف كـ(عسى،وليس)فليست مما نحن فيه؛ذلك أنّها عندي المفسرة نحو:{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف١٨٥)فـ(أنْ)في قوله(وَأَنْ عَسَى)للتنبيه والتفسير.وكذلك قوله:{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}(النجم٣٩)فمعناه التفسير(أيْ)ليس للإنسان إلا ما سعى وذلك أنّ هذه الآية تفسير لقوله تعالى السابق عليها{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}(النجم٣٨)

وقوله تعالى{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} (سبأ١٤)فـ(أنْ)هنا إذا تعلقت بما تبينته الجنّ كانت تفسيرية ليس غير.وإنْ كانت تبينت موته فـ(أنْ)المخففة والمعنى أنّهم لايعلمون الغيب.جملة تعليلية لبقائهم في العذاب المهين.وكذلك قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} (الرعد٣١)فـ(أنْ)عند الباحث كسابقتها تفسيرية لما قبلها من المجمل.

وقد اضطرب الأخفش(ت٢١٥هـ)في تفسير(أنْ)الخفيفة بين كونها زائدة وقد عملت النصب في المضارع.وذلك أنّه فسّرها في سورة النجم على تقدير(بأنْ لا تزرُ)وهي في هذا التقدير مصدرية حقها النصب،لكنّه في قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}(الأنفال٣٤)قال:((فـ(أنْ)ههنا زائدة - والله أعلم – وقد عملت،وقد جاء في الشعر،قال الفرزدق:(البسيط):

لو لم تكن غطفانٌ لاذنوب لها إليّ لامتْ ذوو أحسابها عُمرا))[١٧٠]

وهو يقصد قياس زيادة(أنْ)في الآية على زيادة(لا)النافية وعملها عمل النافية للجنس في بيت الفرزدق فبنيت -على قول النحويين - النكرة معها على الفتح والمعنى لها ذنوب إليّ،وفي الحقيقة:إنّ من وصف عمل لا الزائدة بالشذوذ كان محقا من حيثيات الصناعة النحوية ومخطئا من حيث المعنى فجملة النفي بلا النافية للجنس نفت النفي في صدر الكلام فصار المعنى إثبات فإنّ(لم تكن لا ذنوب لها/أيْ : لم تكن غير مذنبة)بمعنى كانت مذنبة فلم تلم عمرا،ولو كانت غير مذنبة إذن لامته أشرافها فـ(لا)فيما يراه الباحث على بابها من نفي الجنس وهو أبلغ ولا معنى للقول بزيادتها. وكذلك بالنسبة للآية موضع البحث فـ(إنّ)فيها مصدرية عاملة والكلام فيها كما فسره الطبريّ(ت٣١٠هـ)نقلا عن بعض أهل العربية قوله إنّه:((لم تدخل(أنْ)إلاّ لمعنى صحيح؛لأنّ معنى(وما لهم) ما يمنعهم من أنْ يعذّبوا،قال: فدخلت أنْ لهذا المعنى. وأخرج - بيت الفرزدق- بـ(لا) ليعلم أنّه بمعنى الجحد؛لأنّ المنع جحدٌ. قال: و (لا)في البيت صحيح معناها؛لأنّ الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا.وقال:ألا ترى إلى قولك:ما زيدٌ ليس قائما،فقد أوجبت القيام لزيد، قال:وكذلك(لا)في هذا البيت))[١٧١] وهو الصواب وما عليه الباحث ومثل(لا)في بيت الفرزدق كمثل جواب الاستفهام المنفي فنفي النفي إثبات.

وقد أرجع الأستاذ(عباس حسن)استعمال(أنْ)هذه المخففة من الثقيلة غير العاملة بالمضارع إلى أنّها لغة مماتة ووصف أنّها مصدرية مهملة فقال:((إنّ بعض القبائل العربية يهملها فلا ينصب بها المضارع برغم[١٧٢]استيفائها شروط نصبه...كقراءة من قرأ قوله تعالى:{لمن أراد أنْ يتمّ ُالرضاعة}برفع المضارع:(يتمّ)على اعتبار (أنْ)مصدرية مهملة.والأنسب اليوم ترك هذه اللغة لأهلها،والاقتصار على الإعمال ؛ حرصا على الإبانة وبعدا عن الإلباس))[١٧٣]والحقيقة أنّ استعمالها ينطوي على قدر غير قليل من الفرق الدقيق في المعنى والأستاذ عباس حسن يشير في هذا النصّ إلى حملها على(ما)المصدرية وهو ما أشار إليه ابن عقيل(ت٧٦٩هـ)وغيره بما لا حاجة لسرده في هذا الموضع وفي مسألة إهمالها مع توفر شروط عملها خلاف فالكوفيون على أنّها المخففة ولايمنع القياس عندهم من عدم وقوع العلم والظن عليها؛لكنّ البصريين يجيزون ذلك وقد صوّبه ابن هشام[١٧٤]و(أنْ)غير العاملة في المضارع التي سماها عباس حسن بالمهملة هي غير المصدرية التي لا يعملها العرب إذا جاءت بعد ظنّ وعلم ويقين كما سيأتي بيانه فهذه لايجوز أنْ تُلغى بل تنصب اسما مضمرا أو قد يظهر في ضرورة الشعر بحسب تعبير ابن مالك[١٧٥]وللفعل المضارع بعدها حالتان بحسب معنى السياق هما:

- إذا كان سياق الكلام منطويا على ما يدلّ على علم ويقين فيرفع الفعل بعدها((وذلك قولك:قد علمتُ أنْ لا يقولُ ذاك،وقد تيقنت أنْ لا تفعل ذاك. كأنّه قال:أنّه لا يقولُ، وأنّك لا تفعل ونظير ذلك قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى/المزمل٢٠}...))[١٧٦]وفي سبيل تفسير رفع الفعل بعد(أنْ)بلحاظ المعنى قال سيبويه:تقول:كتبت إليه أنْ لا تقل ذاك وكتبت إليه أنْ لا يقولَ ذاك وكتبت إليه أنْ لا تقولَ ذاك.فأمّا الجزم فعلى الأمر.وأمّا النصب فعلى قولك لئلاَّ يقول ذاك.وأمّا الرفع فعلى قولك: لأنّك لا تقولُ ذاك أو بأنَّك لا تقولُ ذاك تخبره بأنّ ذا قد وقع من أمره.[١٧٧]وعلى هذا تكون علامة الرفع على الفعل(يكون)علامة تعرب عن قصد الخبر عن يقين من وقوعه فكأنّه قد وقع وهذا النوع من المعنى هو الفاصل بين النصب والرفع في هذه المسألة.
- وإذا كان سياق الكلام منطويا على ما يدلّ على الرجحان مما هو ظنٌّ فجواز الوجهين في الفعل بعدها وهما(الرفع والنصب)قال سيبويه:((فأمّا ظننت وحسبت وخلت ورأيت فإنّ(أنْ)تكون فيها على وجهين:على أنها تكون(أنْ)التي تنصب الفعل وتكون أنَّ الثقيلة.فإذا رفعت قلت:قد حسبت أن لا يقولُ ذاك،وأرى أن سيفعلُ ذاك.ولا تدخل هذه السين في الفعل ههنا حتى تكون(أنّه).وقال عزَّ وجلَّ: {وحسبوا أنْ لا تكونَ ُفتنةٌ/المائدة٧١}كأنك قلت:قد حسبت أنَّه لا يقول ذاك.وإنمّا حسنت أنَّه ههنا لأنك قد أثبتَّ هذا في ظنِّك كما أثبتَّه في علمك وأنَّك أدخلته في ظنّك على أنه ثابتٌ الآن كما كان في العلم ولولا ذلك لم يحسن أنَّك ههنا ولا أنَّه فجرى الظنّ ههنا مجرى اليقين لأنَّه نفيه))[١٧٨]ومعنى كلام سيبويه أنّ الرفع يكون باتجاه أنْ يكون المتكلم مخبرا عمّا وقع في علمه ويكون الفعل(ظنّ وأخواته)مما يدل على الرجحان بمعنى اليقين مما في الفعل(علم)وهذا يعني أنّ البحث في الحركة الاعرابية عند سيبويه فيما ينقله عن الخليل بن أحمد كاشف عن المعنى.

ومعنى قول سيبويه(فإذا رفعت قلت:قد حسبت أن لا يقولُ ذاك،وأرى أن سيفعلُ ذاك.ولا تدخل هذه السين في الفعل ههنا حتى تكون(أنّه))أنّ السين(حرف التنفيس/ المستقبل)وأداة النفي المعترضة(لا)إنّما تكون بين(أنْ)المخففة والفعل في سياق العلم واليقين مما يكون فيه حال الفعل المضارع الرفع وذلك لتسلط أداة النفي على الفعل؛ ولدلالة السين على ما لم يقع بعد وهو ما يمثل خبر(إنّ)في دلالته على ما ليس بواقع ولكنّه محتمل أو قريب الحصول.ومن هنا فسّر سيبويه شرط السين و(لا)بأحد قوليه في تفسير الفرق بين حالتي الرفع والنصب بأنّ النصب على الخبر بما لم يقع فعلا بل متوقع الحصول في المستقبل والكلام بنحو الإشارة،بينما يكون الرفع خبرا بما سيقع فعلا ولذلك اجتمعت أنْ المخففة غير الناصبة مع السين لاشتمالها على معنى الخبر ولذلك قال سيبويه: ((وتقول:ما علمت إلاَّ أن تقومَ وما أعلم إلا أن تأتيه(بالنصب فيهما) إذا لم ترد أن تخبر أنك قد علمت شيئاً كائناً البتّة ولكنك تكلّمت به على وجه الإشارة كما

تقول:أرى من الرأي أن تقوم فأنت لا تخبر أنّ قياماً قد ثبت كائناً أو يكون فيما تستقبل البتَّة فكأنه قال:لو قمتم.فلو أراد غير هذا المعنى لقال:ما علمت إلاَّ أن ستقومون.))[١٧٩]أيْ:لو أراد الخبر بما علم أنّه كائنٌ فعلا.وهو من جهة المعنى سليمٌ جدا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الآية محلّ شاهد سيبويه على قراءة الرفع والمثبت في المصحف برواية عاصم بالنصب وهي:{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}(المائدة٧١)وأرى النصب أرجح لعدم اليقين في حسبان الكافرين ممن عموا وصموا على معنى المصدر،و(لا) معترضة.وهو ما عليه التفسير[١٨٠]زيادة في أنّ الآية محل البحث دليلٌ على عدم اطراد الشرط في كون(أنْ)المخففة غير الناصبة للمضارع يعترض بينهما وبينه(لا) النافية غير العاملة .

ويرى الباحث من جهة الصناعة النحوية أنّ الشيء المجيء به بعد أنْ المخففة يتصل بالسين لما سيقع،وهو نفسه يأتي بعدها وهي مثقلة من دون السين لدلالة خبر إنّ وهو(جملة فعلية)على معنى الاستقبال فلما خففت ضعفت دلالتها على الاستقبال فعوض عن التخفيف بالسين لتقوية الدلالة على معنى الاستقبال والحفاظ عليه لأنّ أنْ إذا دخلت على المضارع خلصته للاستقبال.والفرق بين الخبر وهي مخففة وبين كونها المثقلة أنّك في المثقلة تخبر خبرا محضا لما سيقع.ويكون مع المخففة خبرٌ عما سيقع وهو في منزلة الواقع في علمك وهو ما عبّر عنه سيبويه بقوله(فلو أراد غير هذا المعنى لقال:ما علمت إلاَّ أن ستقومون)على الخبر بما في علمك بمنزلة الكائن.

لكنه ليس بمطرد من جهة المعنى وإنْ استقام من جهة الصناعة وذلك لقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...}(المزمل٢٠)فالعلم في حقه تبارك وتعالى خبره بمنزلة اليقين لكنّ خبر إنّ المثقلة وهو فعل لما سيقع من حيثيات الحصول الفعلي؛وذلك لاتصال زمن الفعل(يقوم)بعلمه تعالى وزمنه مستمرٌ لما وقع ويقع وسيقع.وهذا بمثال(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنْ ستَقُومُ)من حيثيات الصناعة النحوية لكنّ جهة المعنى مختلفة فهذا على معنى الاستقبال،وذاك من نصّ الآية بمعنى الحال والاستقبال مما هو كائنٌ ويكون في علمه يقينا؛ذلك أنّ(أنْ)المخففة من الثقيلة تفيد الخبر بما وقع وما لما يقع فتنزله منزلة ما وقع من حيث اليقين بوقوعه،والمصدرية حين تدخل على الفعل الماضي تفيد سبك المصدر فحسب ولا تؤثر في معناه،لكنها إذا دخلت على المضارع تخلصه من زمن الحال إلى زمن الاستقبال[١٨١].

أمّا قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}(المزمل٢٠)فقد اعترضت(لن)والفعل منصوب بها وهو بمنزلة(عَلِمَ أَنْ لَا تُحْصُونهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ)على أنّ(أنْ)مخففة والمعنى (أنّكم(لا تحصونه)/لن تحصوه)وذلك للخبر على نحو اليقين من جهتين أنّ علمه تبارك وتعالى يقيني،ومن جهة البناء اللغوي من حيثيات الصناعة النحوية مما سبق بيانه في الفرق بين التعبير بـ(أنْ)والتعبير بـ(أنّ)في سياق مشتمل على العلم.

ومنه قوله تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ}(الانبياء٨٧) وقوله:{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ} (الحج١٥)وقوله:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} (محمد٢٩) وقوله:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}(القيامة٣)فذلك كلّه على معنى(أنّه)ولو كان الحرف المعترض غير عامل لجاء الفعل مرفوعا مثل:(ألاّ نجمعُ،ألاّ نقدرُ،ألاّ ينصرُ، ألاّ يخرجُ)وإنما كان ذلك في كلام النحويين من حيثيات النظر إلى عدم عمل لا النافية الداخلة على المضارع ولو دخل العامل لتأثر الفعل و(أنْ)مخففة على بابها[١٨٢].

وأمّا قوله:{أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}(البقرة٧٧)فخبر(أنّ)في علمهم خبرٌ محض لم يبلغ مرتبة اليقين في أنفسهم وهو بمنزلة(أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنْ سيَعْلَمُ الله مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ)من حيثيات الصناعة النحوية،ولكنّ المعنى مختلف جدا.

ويرى الباحث ألاّ يصحّ في الآية محل الشاهد من قوله:(أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) خاصة مجيء(أنْ)الحرف المصدري الناصب للمضارع لعدم قصد المصدر من جهة المعنى وإنْ صحّ في الصناعة النحوية(أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنْ يَعْلَم اللَّهُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ).

وكذلك قوله:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}(البقرة٢٣٥)فلا يصحّ فيه معنى(اعلموا أنْ سيعلمُ ما في أنفسكم)لتقدم علمه على عملهم وما يخفون من نياتهم وعزائمهم،ولهذا جاء الخبر محضا لأنّه عين اليقين من حيث هو خبرٌ عن علمه تبارك وتعالى بمجريات الأمور.لتضمن السين معنى عدم علمه في الحال.

ومثله قوله تعالى{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (الأنفال٢٤)من جهة(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)لتعلقه بالقدرة الإلهية فلا يتعلق بالسين لاستمرار القدرة في الحال والاستقبال إلاّ أنْ يكون المعنى من تكوين الإنسان فمتى كان على هذه الحال كان على العلم بأنّ الله يحول بين المرء وقلبه. فالفعل(يحول)خبر إنّ ولو كانت الخفيفة لبقي على الرفع كونه خبرها مع اختلاف جهة المعنى فكونها الثقيلة كما هو عليه النص فذلك على معنى الخبر اليقيني في كلّ زمان،وعلى الدوام لتعلق ذلك بقدرته،وكونها المخففة كما هو عليه حال الافترض من بيان اطراد القاعدة واستيفاء الشروط ،فذلك على معنى الخبر اليقيني في المستقبل وتنزيل ما لما يقع منزلة الكائن فعلا،وذلك أنّ(أنّ،وأنْ المخففة)،فيما فسّره أبو البركات الأنباري،لا معنى لها بنفسها إلا بقرينة السياق وهو ما عليه الاستعمال القرآني وكلام فصحاء العرب.(١٨٣)

وأمّا قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}(الشعراء١٩٧) فمختلف من جهة عدم امتناع معنى المصدرلعدم تعلقه بعلمه تعالى،وفي محلّ الشاهد من الآية نظرٌ من جهة قراءة الرفع بجعل(آية)اسم كان والمصدر المسبوك من(أنْ والفعل)خبرها مما أجازه الفراء(ت٢٠٧هـ)،وقد ضعفه الأخفش (ت٢١٥هـ)وقد بيّن الحجة فيه ابن خالوية(ت٣٧٠هـ)بما يؤكد ضعفه وإنْ لم يصرح به(١٨٤)،ويكون المعنى حينئذ بتقدير حرف الجر(في)أيْ:أولم تكنْ آيةٌ في علمهم.ومن هنا ما رجحه ابن خالويه من النصب أولى بالاعتماد عليه في تفسير إعراب النص.وتحليل بنائه اللغوي وإنْ صحّ من حيثيات الصناعة ما أجازه الفراء.

ويمكن في الآية وجه آخر صرّح به الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ)وهو ما يرجحه الباحث،وهو أنْ يكون اسم كان محذوفا(هو ضمير القصة)دلّ عليه السياق من قوله قبلها{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ}(الشعراء١٩٦)والمعنى أولم يكن ذلك آية في علمهم.وهو أولى؛لعدم تعلق الآية بعلمهم من جهة المعنى؛ولأنّ مخرج الكلام العتاب والتعجب من عدم ترشح ذلك ليكون آية في علمهم وليس الخبر عن كون علمهم آية والمعنى على ما بينه ابن خالويه في قراءة النصب كون(آية)خبرا لكان(أولم يكن علمُ علماء بني إسرائيل آيةً) (١٨٥)والفرق واضح.والله العالم.

وكذلك قوله:{عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ}(البقرة١٨٧) فالمعنى(عَلِمَ اللَّهُ أَنْ ستَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ)ولما كان العلم متعلق الله تبارك وتعالى وهو أعلى اليقين وروحه جاء السياق على الخبر المحض فيما هو بمنزلة اليقين من حيثيات الحصول بقرينة(كان)وإلا فالعبارة مبنية على المستقبل لسبق علمه على وقوع الخيانة.وعلى هذا النحو مجرى الفرق بين التعبيرين.فلا يصحّ معنى المصدر فيها.والله تعالى أعلم.

ومثل ذلك قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}(البقرة٢٠٣)والمعنى(أنْ ستحشرون)وهو من واقع التكوين الطبيعي لجدلية الحياة والموت ،وإنّما جاءت العبارة على الخبر لتنزيله بمراتب اليقين من حيثيات التحقق فعلا.وهكذا وقوله:{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(البقرة ٢٢٣)فالمعنى(أنْ ستلاقونه)كونها علما ثابتا ويقينا مستقرا ومن مجرى ذلك المعنى قوله تعالى:{عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا}(البقرة٢٣٥)على معنى أنْ ستذكرونهنّ؛لأنّ معناه واقع في علم الله وكلّ علمه تبارك وتعالى يقينٌ.

ومن الظنّ الذي يستعمل فيما هو يقين قوله تعالى:{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة٤٥-٤٦)فسّر أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)الرفع على أنّ الظنّ هنا بمعنى العلم(١٨٦)وهو الصواب لشهادة السياق به أنّ الذين يفعلون ذلك من الطاعة في الصوم والصلاة والصبر والخشوع هم الذين قد علموا لقاء ربهم والرجوع إليه علما يقينيا.

ومن جدير ما يُذكر هنا أنّ مرجع ذلك كله عند النحويين إلى نوع الفعل من حيثيات معناه الذاتي وهو يصبغ السياق بلون من المعنى على العلم واليقين والثبات أو الرجاء والطمع وهو ما أشار إليه النحويون وفصّله أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ) إذ جعل الفعل على ثلاثة أقسام من حيثيات دلالته الذاتية التي تضفي على السياق لونها الخاص حتى يقع السياق كله في حيزها فقال:((الأفعال على ثلاثة أضرب:فعلٌ يدلّ ثبات الشيء واستقراره،وذلك نحو العلم واليقين والتبيّن والتثبُّت،وفعلٌ يدلّ على خلاف الاستقرر والثبات.وفعلٌ يُجْذبُ مرّة إلى هذا القبيل،وأخرى إلى هذا القبيل،فما كان معناه العلم وقعت بعده أنّ الثقيلة،ولم تقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل؛وذلك أنّ (أنّ) الثقيلة معناها ثبات الشيء واستقراره،والعلم وبابه كذلك أيضا،فإذا أُوقع عليه واستعمل معه كان وفقه وملائما له.ولو استعملت الناصبة للفعل بعد ما معناه العلم واستقرار الشيء لم تكن وفقهُ فتباينا وتدافعا،ألا ترى أنّ(أنْ)الناصبة لا تقع على ما كان ثابتا مستقرا.فمن استعمال الثقيلة بعد العلم ووقوعه عليها قوله - تعالى-{ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}(النور٢٥)...وأمّا ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر،فنحو:أطمع وأخاف،وأخشى وأشفق وأرجو،فهذه ونحوها تستعمل بعدها الخفيفة الناصبة للفعل،قال -تعالى-:{وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي}(الشعراء٨٢)... وكذلك أرجو وعسى.وأمّا ما يجذب مرّة إلى هذا الباب ومرّة إلى الباب الأول فنحو حسبتُ وظننتُ وزعمتُ فهذا النحو يجعل مرّة بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله ومن حيث كان خلافه،...فكلتا القراءتين في قوله{وحسبوا أنْ لا تكونَ ُفتنةٌ/ المائدة٧١}وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل فمثل قول من نصب فقال:(أنْ تكونَ) قوله: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}(العنكبوت٤)وقوله:{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا}(الجاثية٢١)...ومثل قراءة من رفع قوله:{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}(الزخرف ٨٠)...ومثل ذلك في الظنّ قوله:{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}(القيامة٢٥)وقوله:{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ}(البقرة٢٣٠)وفي الرفع قوله:{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}(الجن٥)وقوله:{وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا}(الجن٧)فـ(أنْ)ههنا المخففة من الشديدة،لأنّ الناصبة لايقع بعدها(لن)لاجتماع الحرفين في الدلالة على الاستقبال،كما لم تجتمع الناصبة مع السين،ولم يجتمعا كما لايجتمع الحرفان لمعنى واحد.))(١٨٧)ويقصد الفارسي مع قوله(أنّ الثقيلة)أختها الخفيفة حتى يكون الفعل بعدها مرفوعا على أنّه خبرها.ويضعف حملُ(أنْ)في مثال الظن من الآية السابعة من سورة الجن على أنّها الزائدة التفسيرية؛لأنّه يقتضي تحميل فعل الظنّ معنى يصلح ليكون تفسيرا للقول من دون حاجة إليه.

ومن ذلك مما أحصاه الباحث مما يكون فيه الظنّ بمعنى اليقين قوله تعالى: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}(القصص٣٩-٤٠)وهو على معنى فظنوا أنْ لا يرجعون فكان ظنّهم بمثابة العلم اليقيني بالنسبة إليهم كما كان العلم بالرجوع إلى الله بالنسبة للمؤمنين بمنزلة العلم اليقيني من قوله تعالى:{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(البقرة٤٦)،فكان الطرفان على الإصرار في البقاء على ما هم فيه من الطاعة بالنسبة للمؤمنين والمعصية بالنسبة للمعاندين.

وقوله تعالى{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (الكهف ١٠٤)فذلك على معنى(يحسبون أنْ يحسنون صنعا)وذلك مؤدى علمهم وتيقنهم من اشتمال عملهم على التحسين العقلي بالنسبة إلى ما هم فيه من التكليف وحسب.

وأمّا قوله{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}(القيامة٢٥)فذلك لعدم اليقين بما يفعل بها وقوله:{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ}(البقرة٢٣٠) فذلك على التردد في إقامة حدود الله بين الوجدان والعدم مما لا يورث علما يقينيا فكان النصبُ.

ومن أمثلة الخوف والرجاء قوله تعالى:{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}(يوسف ١٣)فقوله(أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ)لعدم الوثوق من ذهابه فساقه على نحو المستقبل الذي لما يقع ولربما يقع فهو على التردد مما ليس بعلم فكان نصبه لذلك.وقوله(وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ)فواضح لصريح معنى الخشية مما وصفه سيبويه والفارسي وغيرهما.وكذلك قوله تعالى{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ...}(يوسف٢١) فلانطوائه على الطمع والرجاء والتردد مما هو عكس التثبت واليقين.

وأمّا قوله تعالى:{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ}(يوسف٩٤)فقد كان المعنى من علمه يقينا بوجدان ريح يوسف،وهذا ينقض يقينه بأنّهم سيفندونه ومن مجملهما كان على التردد في العلمين فجاء بمنزلة الخوف من التفنيد لأنّ يقينه معنوي لعدم الوجود المادي ليوسف عنده بعد تقادم السنين فتعيّن النصب.

ومما جاء فيه الفعل منصوبا بعد(أن)وحسب في سياقها دال على الرجحان،وظنّ دالّ على العلم مما يدل على عدم اطراد القاعدة النحوية ولايدلّ على نقضها بواقع السلوك اللغوي.قوله تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(التوبة١٦)وقوله:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ}(البقرة٢١٤،آل عمران ١٤٢،الكهف١٠٢)فليس حسب في العلم واليقين وليس فيه غير الرجحان وليس فيه معنى الخشية وليس فيه معنى الرجاء لأنّ التعنت ظاهر في(حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ)فهذا راجح عندهم

وأوضح منه قوله تعالى:{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا}(الكهف٣٥)ففي الظن بمعنى نفي الشك كما هو ظاهر النص ومعناه العلم والتيقن والاستقرار على الأمر أنّه لن تبيد، لكن الفعل جاء منصوبا للدلالة على عدم العلم فيما يكون في المستقبل وأنّ الناس مهما علموا فلا يعلمون ما لما يكون من المستقبل. وللدلالة على نفي الاستمرار والأبدية بالنسبة للإنسان فجاء الفعل منصوبا مع وجود حيز العلم واليقين في نفس لاتتصف بالكمال بالنسبة للغيب وعالم التكوين،وللدلالة على نقص علمه فيما سيكون.مما يؤشر عند الباحث أنّ العلامة الاعرابية منفصلة عن قاعدة الأثر اللفظي وتابعة للأثر المعنوي مما يكون من قصد المتكلم.

وفي بيان الوجه الاعرابيّ الثاني مما يكون في سياق الرجحان هو النصب قال سيبويه:((وإن شئت نصبت فجعلتهن بمنزلة خشيت وخفت،فتقول:ظننت أن لا تفعل ذاك.ونظير ذلك:تظنّ أن يفعل بها فاقرةٌ:إنْ ظنَّا أن يقيما حدود الله.فلا إذا دخلت ههنا لم تغيرّ الكلام عن حاله وإنمّا منع خشيت أن تكون بمنزلة خلت وظننت وعلمت إذا أردت الرفع أنك لا تريد أن تخبر أنك تخشى شيئاً قد ثبت عندك ولكنه كقولك:أرجو وأطمع وعسى.فأنت لا توجب إذا ذكرت شيئاً من هذه الحروف ولذلك ضعف أرجو أنَّك تفعل وأطمع أنَّك فاعلٌ. ولو قال رجلٌ:أخشى أن لا تفعل يريد أن يخبر أنه يخشى أمراً قد استقرّ عنده كائن جاز.وليس وجه الكلام.واعلم أنَّه ضعيفٌ في الكلام أن تقول:قد علمت أن تفعل ذاك ولا قد علمت أن فعل ذاك حتَّى تقول:سيفعل أو قد فعل أو تنفي فتدخل لا وذلك لأنَّهم جعلوا ذلك عوضاً مما حذفوا من أنَّه فكرهوا أن يدعوا السين أو قد إذ قدروا على أن تكون عوضاً ولا تنقص ما يريدون لو لم يدخلوا قد ولا السين .))(١٨٨)وفي كلام سيبويه إشارات فيما يجري تفسيرا لهذه المسألة وهو تعليل مجيء السين وقد و(لا)النافية مع(أنْ)المخففة الخبرية غير الناصبة للمضارع وهو كونها تعويضا عن تثقيل(أنّ)وهذا التعليل إنْ لمْ يكن غريبا عن التفسير النحوي المنطقي والفلسفي،فإنّه لايؤدي إلى الكشف عن المعنى الذي ينطوي عليه السياق معها والفرق بينه وبين عدم ذكرها في طبيعة التفكير النحوي وقد سبق أنّ الفارسي علّل ذلك بما يتسم بالدقة في الكشف عن المعنى وتحكيم الصفات اللفظية المتنوعة بالسياق ليكون خاصا لأداء المعنى الخاص فقال:((لم تجتمع الناصبة مع السين،ولم

يجتمعا كما لايجتمع الحرفان لمعنى واحد.))[١٨٩]ومعنى ذلك أنّ(أنْ)المصدرية الناصبة تخلص الفعل المضارع من الحال إلى الاستقبال،والسين تفعل كذلك أيضا، فكما لايجتمع أنْ المصدرية الناصبة للمضارع ولن الناصبة،ولم يجتمع(لا)النافية وليس على معمول واحد لم يمكن اجتماع الناصبة والسين.وهذا عمق في التفكير النحوي في سبيل توجيه بناء السياق اللغوي تجاه الكشف عن رموز الألفاظ لأداء المعنى.

وعني العلماء بالمعنى ما قد نقله سيبويه من عناية الخليل به قوله:سألته عن معنى قوله:أريد لأن أفعل إنَّما يريد أن يقول إرادتي لهذا كما قال عزَّ وجلَّ:{وأمرت لأن أكون أوَّل المسلمين }فمعناه إنمّا هو أمرت لهذا وربما كان منه قوله تعالى {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة٣٢) {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}(التوبة٨٥)والمعنى إرادتهم لهذا

وكذلك في مجيء (أنْ) لمعنى(أيْ)التفسيرية قال سيبويه:((هذا باب ما تكون فيه أن بمنزلة أي وذلك قوله عزّ وجل:{وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا}زعم الخليل أنه بمنزلة أي لأنّك إذا قلت:انطلق بنو فلان أن امشوا فأنت لا تريد أن تخبر أنهم انطلقوا بالمشي ومثل ذلك:ما قلت لهم إلاَّ ما أمرتني به أن اعبدوا آلله.وهذا تفسير الخليل.ومثل هذا في القرآن كثير.))[١٩٠]

ويرى الباحث في قوله تعالى من قصة موسى عليه السلام:{ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ،قَالَ مُوسَى: أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ}(يونس٧٦-٧٧)أنّ يفلحُ على معنى أنّه لا يفلح للعطف على قولهم(إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ وأنْ لا يفلحُ الساحرون)لعدم اتساق الكلام على الاستئناف.وذلك على أنّه جواب موسى لانطوائه على معنى اليقين من فلاح من جاء به،وإنْ كان من كلام قوم موسى فلا.وقد جاء الوجهان في كلام المفسرين[١٩١].

وقوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}(هود٢٥-٢٦)فالمصدر غير مقصود والفعل مجزوم بـ(لا)الناهية والمعنى أنّه لا تعبدوا ويمكن أنْ تكون تفسيرية لأنّ ما بعدها يمثلُ فحوى الرسالة وتكون كقوله تعالى:{ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(المائدة١١٧)فذلك على ما جعله الفراء أنها مفسرة لمعنى الأمر وهو العبادة[١٩٢]مع أنّ السياق يتحمل معنى كونها المخففة التي يرتفع بعدها الفعل وهو هنا مجزوم بالأمر وكأنّه قال أنْ تعبدون وهو الراجح عند الباحث في معنى الآية والله تعالى أعلم.

وجعل الأستاذ عباس حسن ضابطا للفرق بينهما وذلك بملاحظة ما بعدها فإنْ كان فعلا فهي تلك الناصبة المصدرية،بكلّ تفصيلاتها((وإنْ لم يقع بعدها فعل فليست بالمصدرية التي تنصب المضارع.كقول الشاعر: (الطويل):

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة؟ فإنْ عرضتْ أيقنتُ أنْ لا أخا ليا

والمعنى،أيْ:أنّه لا أخا ليا))[١٩٣] مع مجيء فعل اليقين صريحا.وقد تأتي(أنْ) الخفيفة بعد الظن وصلتها جملة اسمية منفية كقوله تعالى:{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(التوبة١١٨)فذلك على قصد إثبات عدم الملجأ إلاّ لله تعالى بمعنى إثبات اللجوء إليه وحده لاشريك له في شيء.

قال تعالى{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...}(الحديد٢٩) قال الخليل(ت١٧٥هـ)هي على معنى ليعلم أهل الكتاب أنّهم لا يقدرون.ولولا ذلك لكان بناؤه اللغوي(ألاّ يقدروا)على النصب بـ(ألاّ)[١٩٤]فقد جرى توجيه المعنى بحسب تأويل الكلام بتقدير(أنّهم)وكون(لا)من قوله(لئلا)زائدة.فمعناه خشية أن يفوتهم العلم بأنّهم لا يقدرون على شيء من فضل الله تعالى ونعمه و توجيه الخليل هذا أكثر من رائع لنهوضه بالمعنى بشكل

متلائم مع القصد من البناء اللغوي في النمط الثاني الذي أشار إليه بقوله:ولولا ذلك لكان بناؤه اللغوي(ألاّ يقدروا)على النصب بـ(إلاّ).

وقد علق سيبويه على كلام الخليل في هذا الشاهد بجعله بمنزلة المصدر لاتصال أنْ بالفعل و(لا)زائدة،وهو كقولك للرجل:أما أنْ يكون عالما فهو عالمٌ،وأمّا أنْ يعلم شيئا فهو عالمٌ.ويجوز أنْ تقول:أمّا أنْ لا يكونَ يعلمَ فهو يعلم وأنت تريد معنى(أنْ + يكون)وهذا على العمل بزيادتها.وذكر،أيضا،في قوله تعالى:{لئلاَّ يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء}أنّهم زعموا أنَّها في مصحف أبيّ:(أنَّهم لا يقدرون).وليست (أنْ)التي تنصب الأفعال تقع في هذا الموضع لأنّ ذا موضع يقين وإيجابٍ.(١٩٥)

ومنه أيضا،قوله تعالى{أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا}(طـه٨٩)قال الخليل معناه:(أنّه لا يرجعُ)بالرفع وتبعه غير واحد من علماء معاني القرآن،وقال:النصب يكون بـ(ألاّ) وقد حسّن النصب ابن مالك(١٩٦)وذلك على ملاحظة الفرق من جهة المعنى بين التعبيرين بحسب علامة إعرابه .

وقد سبق الفراء(ت٢٠٧هـ)إلى رسم قاعدة كلية في هذا ونحوه عند تفسير قوله تعالى:{تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}(التوبة٩٢)فقال:((يجدوا في موضع نصب بأنْ،ولو كانت رفعا على أن يجعل(لا)في مذهب(ليس)كأنّك قلت:حزنا أن ليس يجدون ما ينفقون،ومثله.قوله:(أفلا يرون أنْ لا يرجعُ إليهم قولا). وقوله:(حسبوا أنْ لا تكون فتنة)وكلّ موضع صلحت ليس فيه في موضع لا فلك أنْ ترفع الفعل الذي بعد لا وتنصبه)) (١٩٧)

ومنه في هذا الحكم – الرفع – قوله تعالى:{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}(الاعراف١٤٨)،ومثله في النصب قوله تعالى:{...إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا...}(البقرة٢٨٢)

وسياق الكلام جار على بيان معنى الخبر وهو(أنْ يعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم) فـ(لا)مقصودة بمعناها من نفي القدرة فلما تسلط،في نظر النحويين،عاملان على الفعل حكموا بزيادة أحدهما من حيثيات نظرية العامل وليس المعنى وهذه الحال يتناقض مع البناء النظري للنحو العربي من تبعية الإعراب للمعنى على حدّ تعريف النحو أو الاعراب من كونه الإبانة وكون النحو علما يعرف به مجاري أواخر الكلم في العربية عن تأليف الكلام مما يفضي إلى تعريف الاعراب.

وقد أمعن الخليل في تحري المعنى الدقيق وذلك في قوله تعالى:{وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}(الممتحنة١)قال:((معناه:يخرجون الرسول. ثمّ قال: وإياكم،إنْ كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي،أنْ تسروا إليهم بالمودة. فلما أسقط حرف النصب رفعه على الصّرف. قال (تسرون)كما قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ}(البقرة ٨٣)معناه ألاّ تعبدوا))(١٩٨)ولذلك أثره في أداء المعنى من الكشف عن دلالاته في قصد بناء العبارة على هذا النحو من المصدر المسبوك من(أن والفعل)فلما حذفت(أنْ)ارتفع الفعل،وقد أطال الأخفش في بيانه.

ومن هنا يستطيع الباحث أنْ يخرجَ بتوجيه ينطلق من حيثيات المعنى في تحليل الخطاب أنْ يتابع ارتباط الحالة الإعرابية بالمعنى فلو كانت(أنْ)مقصودة في المعنى لنصبت الفعل ولجاء الفعل بحذف النون ولكنّ القصد من البناء نفي القدرة باللام النافية غير العاملة وغير المؤثرة في المضارع فجاء مرفوعا بثبوت النون .وفي المسألة وجه آخر مفاده أنّ اللام النافية المعترضة بين الفعل وناصبه(أنْ)قد تعطل هذا الناصب عن العمل وعليه يجري توجيه جميع الشواهد التي تنطبق عليه مما سبق عرضه وهو ما صرّح به ابن خالويه(ت٣٧٠هـ)عند تفسيره قوله تعالى{وحسبوا أنْ لا تكونَ ُفتنةٌ}(المائدة٧١)فقال في بيان حجة الرفع في تكون((أنّه جعل(لا)بمعنى

ليس؛ لأنّها يجحد بها كما يجحد بـ(لا)،فحالت(لا)بين أنْ وبين النصب))[١٩٩]وهو رأيٌ قليلٌ نصيبه من القبول كونه في غاية التعسف على بناء السياق لقصد المعنى.

وخيرٌ منه ما ذهب إليه الفراء(ت٢٠٧هـ)أنّ السبب في تعدد الوجه الإعرابي بالنسبة لرفع الفعل ونصبه دخول(لا)النافية فهي الفاصل بين الاستعمالين في استواء الحالتين الإعرابيتين بحسب قصد المتكلم من حيثيات دلالة العلامة الإعرابية فالرفع لقصد معنى المضي هذا ما قاله الفراء.[٢٠٠]

وبالأخذ بالتفسير النحوي للفارسي فلا يطرد فقد يبقى الحرف الناصب على عمله، وعليه مجرى الشواهد التي ظهر عليها عمل(أن)الناصبة للفعل على الرغم من اعتراض(لا)النافية.مما يؤكد ما ذهب إليه مفسرو القرآن ومعربوه.لكنّ تفسيرهم لاعتراض(لا)النافية غير العاملة تعويضا للمحذوف من أنّ المشددة على قول سيبويه ومن تبعه في غاية التعسف أيضا.لعدم اطراده فقد اعترضت مع المصدرية الناصبة للمضارع.

وقد جاء التنزيل المبارك بالنمطين في عبارة واحدة مكررة وذلك قوله تعالى:{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ..}[الأعراف١٢]وقوله:{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ}[ص٧٥]

وهما نمطان من بناء الجملة الفعلية في هذا النحو من التعبير الذي جرى عليه النّص القرآني فلا يشك الباحث في الفرق بين الجملتين من حيث المعنى المقصود ببناء العبارة على أحد النمطين بصورة تكشف عن المعنى المعين غير المقصود ببناء العبارة على النمط الآخر وذلك على التفصيل الآتي:

أ- : بناء العبارة على النصب ومعناها:

عند تأثر الفعل بالحرف المصدري الناصب(أنْ)على الرغم من اعتراض أداة النفي غير العاملة(لا)بين الفعل وناصبه يكون السياق بُنِيَ على القصد إلى معنى المصدر وما يفيده المصدر من إرادة الحدث على العموم والاطلاق وعدم الثبات لإشمامه بحركة الفعل وتزلزله من دون قصد حيثيات الفعل الأخرى كالدلالة على الزمن الحدوث الخاص ببعديه في القرب(الآن)والبعد(المستقبل)في صيغة(يفعلون) اللذين يصطلح عليهما بالحال والاستقبال ونحو ذلك من الدلالة على الفاعلية والمفعولية فغير مقصود معنى زمن الكتابة وفاعلها ولا زمن الارتياب وفاعله المعين مع أنّ ذلك لايتصل بمضمون(أنْ)في تخلص المضارع لمعنى الاستقبال؛بل العبارة على قصد الحدث المطلق/العام،وليس مستقبل محدود،وربما كان مجيء الفعل المضارع منصوبا بالحرف المصدري ليخلصه من الفعلية إلى المصدرية،ولا يحسب الباحث قصدا لنصب الفعل المضارع بـ(أنْ)المصدرية غير هذا المعنى وإلا فدلالته على المعنى في حالة الرفع بتجرده موجودة وإنّما يُصار إلى إحدى أدوات النصب والجزم لقصد تغيير جهة المعنى والحرف المصدري(أنْ)يؤتى به لتغيير جهة معنى الفعل من حيثيات الفعل إلى حيثيات المصدر لقصد العموم في الحدث من غير التقيد بزمن مع ملاحظة أنّ الحرف(أنْ)في الحالتين من نصبه المضارع وعدمه يشكل حالة المصدر فـ(أنْ)في الحالتين يسمى المصدرية قال ابن مالك(ت٦٧٢هـ): ((والمصدرية هي التي يؤول منها ومن صلتها مصدر،وتنقسم إلى مخففة من(أنّ)باقية على عملها،وإلى غير مخففة وهي الناصبة للمضارع،وإنّما نصبته لأنّها شبيهة بأحد عوامل الأسماء وهي(أنّ)،وهي أقوى النواصب ولذلك نصبت الفعل مظهرة ومضمرة.))[٢٠١]ويقصد ابن مالك في(الباقية على عملها)هي غير الناصبة وذلك أنّ الباقية على عملها هي التي تنصب اسما مضمرا هو ضمير ملائم مع السياق،وأنّ الفعل يقع خبرا لها مع قصد المصدرية لمعنى الثبات مما في الخبر وهو ما لا يوجد معناه في الفعل لدلالته على الحركة والتجدد والقابلية على التغيير.وبغير هذا التحليل يتناقض الغرض من الثبات الذي في الخبر والتجدد والتغير الذي في الفعل.

وذلك كقوله تعالى:{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[النجم٣٨]على معنى الخبر لقصد التثبيت والتأكيد(أنّه لاتزر)ولاسيما أنّ القصد من الخطاب الحكم في تركيز الخطاب على العدل وتحقيقه

ومن حيث أنّه على مستوى الحركة فعبّر عنه بالفعل من دون قصد التجدد ونحوه.وقد تجدر الإشارة إلى أنّ(لا)ليست زائدة بل مقصود فيها نفي المساواة.

وقوله تعالى:{وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}(الأعراف١٨٥)ومعنى(أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ)كما هو ظاهر هو الكون المطلق في المستقبل وهذا هو ما نقصده بالمصدر والخروج على قيود الفعل من حيثيات الحدث المقصود في الزمن المعين.وكذلك قوله:{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى} (طه١١٨) وقوله:{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(الشعراء٣)فالآيتان نصٌّ في نفي الحدث في زمن مطلق فالقصد تصيير جهة لفظ الفعل إلى المصدرية وهو نمط من التعبير العربي على سمت الفصحى.

ففي الأولى نفيُ الجوع والعري فيها مطلق لعدم حدّ الجنّة بزمن من جهة طول البقاء فيها والخلود،وهذا ما ينطبق عليه بالوضوح كله قاعدة المفسرين من اعتبار عموم اللفظ وليس خصوص السبب ومعنى هذا عدم ملاحظة قصر زمن بقاء آدم عليه السلام في زمن محدود في الجنة،بل الملحوظ فيها من بناء العبارة صفة الحال في البقاء في الجنة وهو أمر خارج عن مستوى دلالة الحدث في خروجه عليه السلام من الجنة.

وفي الثانية من قوله تعالى:{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(الشعراء٣)نصٌّ في نفي أنْ يكون المنافقون مؤمنين على طول زمن الرسالة المقترن بحياة الرسول(صلى الله عليه وآله)وتكون الآية حكما اعتباريا أزليا بفعل أزلية الرسالة،وذلك بدليل قوله تعالى بعد ذلك من السورة نفسها:{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ(٥)فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٦)}

فهذا لا يصحّ فيه قول الخليل رحمه الله تعالى على معنى أنّهم لايكونون مؤمنين لتسلط الحرف المصدري على الفعل لتغيير جهة الدلالة من حيثيات الفعلية إلى حيثيات المصدرية مع ملاحظة زمن النزول .

ومثله قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}(التوبة٩٢،ومنه أيضا، التوبة٩٧،هود٢،يوسف٤٠،النمل٢٥، الحديد ١٠).

فالقصد الحكم على الدوام من تحقق الحدث ولعل هذا مكمن السرّ في العبور بزمن الفعل من الآنية إلى الدوام في التعبير القرآني،وهو استعمال فاش مطردٌ في النصّ القرآني.

ولعلّ ما يدل على هذا الأمر الذي يراه الباحث في التوجيه النحوي لعمل الحرف المصدري النصب مع اعتراض أداة النفي وتارة لايعمل على قصد المعنى المعين ما جاء من التوجيه النحوي في قوله تعالى:{فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(البقرة١٨٤) رفع(خيرٌ)لأنّه خبرٌ،لايحسن السكوت من دونه وأنْ هنا عاملة وهي بتأويل مصدر والمعنى وليس التقدير:والصيام خيرٌ لكم.

وكذلك قوله تعالى{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(النور٦٠)لكنّه نصبه في قوله تعالى:{انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ}(النساء١٧١)لأنّه يحسن السكوت عنه وذلك بتأويل المصدر في موقع المبتدأ والمعنى والصوم خيرٌ لكم،والاستعفاف خيرٌ لهنّ.(٢٠٢)

ولو قُرئ بالرفع في الأخيرة فيمكن على معنى(انتهوا فالانتهاء خيرٌ لكم)أي:بحذف المبتدأ بدليل لفظي قائم بنفسه وهو الأمر، ويرى الباحث أنّ الرفع على معنى الخبر بوجود الخير في هذا الأمر من الصوم والاستعفاف لكنّ صيغة الأمر فيها تحذير وإرشاد فيكون النصب على التحذير والتوعد؛وذلك أنّ الأمر منطو على التحذير والتوعد والاستعلاء

وقال في معناه بحسب تفسير إعرابه(وأنْ تصوموا فالصيام خيرٌ لكم)على تقدير المصدر لصريح السياق في معنى الشرط،وإنْ يستعففن يكن الاستعفاف خيرا لهنّ،أو الاستعفاف خيرٌ لهنّ. وقد جمع المحقق الأستاذ عضيمة مجمعة كبيرة من الآيات التي استعملت فيه(أنْ)وكان

معنى السياق شرطا[٢٠٣] وهذا مفصلٌ رئيس في عنايته بالمعنى،وذلك قوله في الرفع وتفسير معناه أنّه خبرٌ مما يحسن السكوت عليه ولا ينعقد الكلام من دونه.

فكذلك المعنى هو:لعلك باخع نفسك كونهم غير مؤمنين،وإنّ لك عدم الجوع فيها والعريّ،والسرّ في ذلك،بحسب ما يترشح للباحث من تفسير الآية والله تعالى العالم،عدم القيد بزمن الفعل ما يكون معه المعنى مقيدا من عدم الجوع والعري في زمن معين،وزمن من عدم الإيمان.

ب - بناء العبارة على الرفع ومعناها:

عند عدم تأثر الفعل بالحرف الناصب مع اعتراض أداة النفي في نحو الآية محل البحث(أَلَّا يَقْدِرُونَ)على قصد حيثيات الفعلية وما جاء في تعليق سيبويه من القول بزيادة(لا)وقصد المصدرية فغير وجيه لإغفاله النمط الثاني من بناء العبارة والأجود منه قول الخليل مما سبق بيانه لنهوضه بتفسير العبارة على بيان المعنى بهذا القصد من إرادة حيثيات الفعل أيْ: ليعلم أهل الكتاب أنّهم لا يقدرون وانطوائه على خبر المخبر المتيقن من خبره كأنّه كائنٌ .

وهكذا مواضع هذا النمط يكون فيها المعنى طلب تحقق الحدث في زمن مقيد بالحدث ومن ثمّ يمتدّ معنى الآية حكما يكتسب امتداده من أزلية القرآن وهي قضية خارج البناء اللغوي للبيان عن أحكام القرآن الكريم وذلك ما يشتهر قاعدة في علوم القرآن أنّ العبرة بعموم اللفظ لا خصوص السبب فالعبارة يقصد بها طلب الحدث على حدّ الفعلية ولعلّ في قصة الآية ما يؤيد **هذا التوجيه النحوي**.ومنه قوله تعالى:{ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا}(طه٨٩) والقصد على معنى الفعلية بدليل الفعل(يرون)وهو ظاهر في الزمن الحال من وقوع الحدث،ومن ثمّ فهو حكم اعتباري لكلّ زمن ومكان.

أمّا امتداد هذا الحكم ليكون قانونا اعتباريا في التعامل مع أئمة الكفر فذلك من طبيعة الشريعة وأزليتها.

وعليه مجرى القراءة في قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}(آل عمران٤١) فقراءة الرفع على معنى أنّها تكلم الناس رمزا على معنى الفعلية،والرمز ليس بكلام فتعين النصب على قصد المصدر بما فيه من معنى الكلام المعنوي دون الحدث الفعلي مما يصدق أنّه إخراج اللفظ.والمثبت في قراءة عاصم النصب.[٢٠٤]

ومنه قوله تعالى:{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}(البقرة٢٣٣) فقراءة الرفع على معنى الفعل من حيثيات الزمن والحدث والقراءة المشهورة المثبتة في مصاحفنا اليوم بالنصب على قراءة عاصم على معنى الحدث المطلق لأنّ الآية حكم في التخيير والاباحة من دون الانحصار بزمن يلزم فيه تنجيز الحكم،وقصد العموم يليق به معنى الاسمية مما هو في المصدر الذي هو عبارة عن اسم للحدث المجرد عن القيد بزمن وفاعل مخصوص. والله تعالى العالم.

هوامش البحث وتعليقاته

(١) الحجة للقراء السبعة٣: ٢٤٦،ظ:٢٥١.ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ١٨٦،جامع البيان،الطبري،٣: ١١٠، ٧: ٢٨٣،معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٥: ١٤٩

(٢) المقتضب ٤ : ١١.

(٣) كتاب الجمل للخليل ٣٠٣

(٤) ظ: الجمل في النحو ١٠٥، والكتاب ١: ١٧٨، ٨٩، وذكر محقق جمل الخليل أنها قراءة الجمهور ،وقراءة حفص المثبتة في المصحف الذي يتعبد به المسلمون اليوم(وجعل الليل) وفي كتب التفسير كالذي عن الطبري: إنّها قراءة أهل الحجاز والمدينة وبعض البصريين ، وقراءة الكوفيين(جعل)

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن٧: ٢٨٣، ظ: الحجة لابن خالويه١٤٦، وتبيان الطوسي ٤: ٢٠٩- ٢١٠

(٦) البيت من شواهد الكتاب ١: ٨٧،الطبري(طبعة البابي الحلبي ١٩٥٤ط٢)٧: ٢٨٣ ،وطبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق (أحمد محمد شاكر) ١١: ٥٥٧، والصاحبي لابن فارس٢١٢،وفي مغني اللبيب برقم ٧٠٤ وتجدر الإشارة إلى أنّه يروى في الكتاب وفي الطبري بينا وأثبتنا رواية ابن فارس للياقته ببحر الوافر من دون زحاف أو علل ،وذكر الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق تفسير الطبري أنّ (بينا نحن نطلبه)رواية ابن فارس وهو خطأ ففي الصاحبي فبينا نحن نرقبه وفي سيبويه : طبعة بولاق(بينا نحن نطلبه) وفي الطبري طبعة الحلبي(فبينا نحن ننظره)، وقد أخطأ محققه حين اسقط الفاء لاختلال الوزن العروضي .

(٧) ظ: جامع البيان في تأويل آي القرآن٧: ٢٨٣، الحجة لابن خالويه ١٤٦.

(٨) ظ: شرح الشافية للرضي الاستربادي ١: ١٠٣.

(٩) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ٢٣٠.

(١٠) ظ: معاني القرآن،الأخفش،١: ٣٠٩- ٣١٠،معاني القرآن،الزجاج،٢: ٢٨٢،الدرّ المصون ٥: ١٠٢.

(١١) شرح ابن عقيل ٤: ٢٣(دار الفكر)،ظ:معاني القرآن للفراء٣ : ٢٦،الكشاف٥: ٤٢١،وتجدر الإشارة إلى أنّ في الآية قراءة برفع الفعل(يرسلُ)،أيْ:أو هو

(١٢)معاني القرآن،الفراء ١: ١٩٧،ظ: شرح التسهيل ٣ : ٣٨٤.

(١٣) ظ: كتاب سيبويه ١: ١٢، ٢٢، والأصول في النحو ١: ٣٦ ، المفصل ١٨، شرح الكافية في النحو ١: ٢٤، شرح ابن عقيل ١: ٢٨، في النحو العربي(نقد وتوجيه)،المخزومي، ٧٠.،منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، ٢٢٢.
(١٤) ظ: المفصل ١٨، في النحو العربي(نقد وتوجيه)،المخزومي، ٨١ .
(١٥) ظ:المقتضب ٤: ١٤٣،المفصل ١٤ ،في النحو العربي(نقد وتوجيه)،المخزومي، ٧٦.
(١٦) للوقوف على بعض الأمثلة لأثر الأسماء في توجيه المعنى ، ينظر على سبيل المثال :البقرة :١٨٤ ،٢٨٢،النساء : ٣،١ ،٢٩ ،٦٦،المائدة :٩٠ ، الأعراف : ٥٩ ، التوبة : ١٠٠ ، الإسراء : ٢٣ ، الحج : ٢٥ ، النور : ٩ ، ٣١ ، الجاثية:٢١ ، الحديد:١٠،الحشر: ٧ .
(١٧) الخصائص ١: ٤٠٧ ، ٢ : ٢٩٧،ظ: معاني القرآن،الزجاج،٥: ٢٢١،الكشاف ٢ : ٣٩٤،.
(١٨) ظ: معاني القرآن،الزجاج،٥: ٢٢١،الحجة في القراءات السبع٣٥٢،الحجة للقراء السبعة ٦ : ٣١٩،الكشاف ٦: ٢٠٧،همع الهوامع ٢: ٢٢٤.
(١٩) ظ: معاني القرآن،الأخفش،٢: ٥١٧،جامع البيان،الطبري،٢٥: ١٤٩،الحجة في القراءات السبع٣٢٥،الحجة للقراء السبعة ٦: ١٧٥-١٧٧.
(٢٠) ظ: معاني القرآن،الفراء، ١ : ١٧١.
(٢١) ظ: معاني القرآن،الفراء ١: ١٧١، معاني القرآن،الأخفش. ٢: ٥٥٧ الكشاف ٦: ٢٦٧.
(٢٢) ظ: معاني القرآن،الفراء ١: ١٧١،والبيت من شواهده ومن شواهد ابن جني في استعمال لن موضع ما ! ظ: الخصائص ١: ٣٨٣.
(٢٣) معاني القرآن،الفراء ١: ١٧١.
(٢٤) ظ: البيان والتبيين ٢: ٣٢٧.
(٢٥)معاني القرآن،الفراء ١: ١٩٣.
(٢٦)معاني القرآن،الفراء ١: ١٩٣.
(٢٧) ظ: معاني القرآن،الزجاج،٢: ٣٣٣،الحجة، الفارسي ٢: ٢٣٥، وإعراب القران ، النحاس ١: ٦٠٩، الكشف ٢: ٤٢.
(٢٨) ظ: كتاب معاني القراءات ١٧٨ ،والحجة، الفارسي ٢: ٢٣٥، ومعاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ٢: ٣٣٣.
(٢٩) ظ:الحجة للقراء السبعة،الفارسي ٤: ١٥- ١٧،وإعراب القران،النحاس ١: ٦٠٩،ومعاني القرآن وإعرابه،الزجاج، ٢: ٣٣٣.
(٣٠)كتاب سيبويه١: ٢٦٢بولاق،ظ: الجمل،الخليل،٨٢،٨٠ ، الأصول في النحو،لابن السراج،٢: ٢٥٧،الحجة للقراء السبعة٤: ١٥- ١٧.
(٣١) ظ: جامع البيان ٧: ١٦٥.
(٣٢) ظ: جامع البيان ١٢: ١١٧، الكشاف ٣: ٢٣٧،البحر المحيط ٥: ٢٦٢.
(٣٣) المائدة٨٠،الاعراف٣٦، ٤٢،التوبة١٧،يونس٢٦- ٢٧،هود٢٣،الرعد٥.
(٣٤) م . ن ، وأحكام القرآن ، ابن العربي ٢: ٣١٢.
(٣٥) معاني القرآن،للفراء،١ : ١٩٣،معاني القرآن،الأخفش،١ : ٢١٠-٢١٢ .
(٣٦) معاني القرآن،للفراء،١ : ١٩٣.
(٣٧) كتاب سيبويه١: ١٥.(بولاق)
(٣٨) ظ: إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها ٢٠٥ .
(٣٩) ظ: الكتاب ١: ٢٣٥(بولاق)،أسرار العربية١٤١،شرح ابن عقيل١: ٢٧٣ .
(٤٠) ظ: الجمل٣٠٨،الحجة في القراءات السبعة،لابن خالويه،٩٢، والمحتسب ١: ١١٧،كتاب السبعة ١٧٦ ، والنشر ٢:١٧٠، حاشية الصبان ١: ٣٦٦.
(٤١)المغني في النحو،ابن فلاح اليمني ٥٣ ، وظ: مغني اللبيب ٢: ٥٩٠.
(٤٢) ظ: الكتاب ١: ٢٢- ٢٤،بولاق،الحجة في القراءات السبعة،لابن خالويه،٩٢،الكشف ١ :٣٣٠.
(٤٣) ظ:المثل السائر٢: ٢٤ - ٢٨،وينظر الطراز٢ :٣١ .
(٤٤) ظ:المحتسب ١: ١١٧.
(٤٥) م. ن ١: ١١٧.
(٤٦) ظ:مغني اللبيب ١٤٩ .
(٤٧)ظ: معاني القرآن للزجاج ١: ٢٤٦
(٤٨) ظ:إعراب القرآن،النحاس ١ :٢٣٠،الكشف١ :٣٣١،التبيان،العكبري١: ١١٩،الجامع لأحكام القرآن٢: ١٦٠.
(٤٩) ظ:إعراب القرآن،النحاس١ :٢٣٠،والمحتسب١: ٢٠٥،والكشف١ :٣٣١،والمحرر الوجيز١: ٢٤٣،والجامع لأحكام القرآن ٢ :١٦٠،والبحر المحيط ٢: ٥٤ .
(٥٠) ظ:مغني اللبيب ١٤٩ .
(٥١) ظ:الكتاب ١: ١٠٨، ٢٤٩،بولاق،الخصائص٣٥:١، وبنية اللغة الشعرية،جان كوهين ١٨٠.
(٥٢) إذ قبلة النصارى مشرق بيت المقدس ، لأنه ميلاد عيسى عليه وعلى نبينا السلام، واليهود مغربه. ظ: الكشاف ٢١٥:١. والبحر المحيط ٢: ٤ .
(٥٣) ظ: جامع البيان ٢:٩٥ ، ومفاتيح الغيب ٥ :٣٧ – ٣٨، والبحر المحيط ٢: ٤.
(٥٤) ظ:الجمل،الخليل،٧٩.
(٥٥) ظ:الجمل،الخليل،٧٨-٨٠،كتاب سيبويه١: ٢٧٨بولاق.
(٥٦) ظ:الجمل،الخليل،٨٠،كتاب سيبويه١: ٢٧٨بولاق.
(٥٧) ظ:الجمل،الخليل،٨٠.
(٥٨) ظ: التحرير والتنوير ٢٥: ٢٥٧.
(٥٩) ظ: معاني القرآن للزجاج،٤: ٤٢٣.
(٦٠) ظ: إملاء ما منّ به الرحمن ٢: ٢٢٩- ٢٣٠
(٦١) ظ:الجمل،الخليل،٧٨-٨٠،كتاب سيبويه١: ٢٧٨بولاق.
(٦٢) البيت من شواهد الخليل وسيبويه،ظ:الكتاب١: ٢٦٢(بولاق)،الجمل،الخليل،٨١/ وفيه خلاف فالخليل يرويه بضبط المحقق على أنّه من الطويل وهو الأرجح بزيادة الواو واللام على رواية سيبويه ونسب في الكتاب إلى بحر الكامل وفيه زحاف والأولى نسبته إلى بحر الطويل برواية الخليل وضبط المحقق ولخلوه من الزحاف من التفعيلة الأولى والإضمار في الشطر الثاني .
(٦٣) ظ: الجمل،الخليل،٨١
(٦٤) كتاب سيبويه١: ٢٦٢(بولاق)،٢: ٩١- ٩٢(هارون).
(٦٥) ظ :تحصيل عين الذهب مطبوع ضمن: الكتاب ١: ٢٦٣(بولاق)،.
(٦٦) ظ: الجمل،الخليل،٨٢
(٦٧) ظ: الجمل،للخليل،٧٩- ٨٢، كتاب سيبويه١: ٢٦٢.
(٦٨) ظ: الجمل،للخليل،٧٧.
(٦٩) ظ:التبيان،للطوسي،٦: ٤٤٠،الكشاف،(نسخة المكتبة الشاملة)٣: ٤١٧،إملاء العكبري ٢: ٧٨.
(٧٠) ظ:الكشاف،(نسخة المكتبة الشاملة)٣: ٤١٧،إملاء العكبري ٢: ٧٨.
(٧١) ظ:الجمل،الخليل،١٢٨- ١٢٩، وكتاب سيبويه ١: ٢٨٥.
(٧٢) ظ:الاجتهاد في النحو العربي ٥٨- ٥٩(أطروحة دكتوراه/ جامعة بغداد)
(٧٣) ظ: الحجة، الفارسي ٢: ١١٧، كتاب السبعة ٢٤٤، والنشر ٢: ١٩١،ومشكل إعراب القرآن ١: ٢٦٥، والكشف ١ :٤٤٨، والتبيان في إعراب القرآن ١ :٣٢٩، ومغني اللبيب٥٨٦.
(٧٤) ظ:الحجة ، الفارسي ٢: ١١٧، والكشف ١: ٤٤٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ١: ٣٢٩.
(٧٥) ظ:معاني القرآن وإعرابه ٢: ١٤٥، ومشكل إعراب القرآن ١: ٢٦٥، والكشف١ :٤٤٨.
(٧٦) معاني القرآن وإعرابه ٢: ١٤٥.
(٧٧) ظ:التبيان في إعراب القرآن ١: ٣٢٩، والشامل في القراءات العشر ١٥٩.
(٧٨) ظ: معاني النحو،فاضل السامرائي،٣: ١٢١
(٧٩) ظ:التحرير والتنوير،١١ :٤٢٧ ،النكت والعيون،٦٨٢:١، المحرر الوجيز،٣٥٩:٥،الكشاف،٥ :٣٩٢

(٨٠) الجمل١١٥،ظ: معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٥: ١٤٩،ويلاحظ الباحث أنّ الخليل يقول مثل مقولة الكوفيين بجعل الوصف(اسم الفاعل)فعلا،ومن الجدير بالذكر أنه عندهم الفعل الدائم وهو كذلك عند سيبويه.ظ: مدرسة الكوفة ،المخزومي، ٩٥،منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي١٧٣
(٨١) معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٥: ١٤٩ظ: المحرر الوجيز٦: ٣٣٧ .
(٨٢) ظ: الجمل١٢٣، الكتاب١: ٢١- ٢٢(بولاق)معاني القرآن واعرابه،الزجاج،١: ٣٦٥.
(٨٣) ظ: جامع البيان في تأويل آي القرآن٣: ١١٠.
(٨٤) ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ١٨٦،جامع البيان في تأويل آي القرآن٣: ١١٠،الحجة في القراءات السبع،ابن خالويه،١٠٣،أسرار العربية١٣١،التحرير والتنوير٣: ٩٥(طبعة الدار التونسية).
(٨٥) ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ١٨٦،الحجة للقراء السبعة،الفارسي،٣: ٢٤٦،٢٥١،جامع البيان في تأويل آي القرآن٣: ١١٠ .
(٨٦) ظ: الجمل١٢٣-١٢٥،المحرر الوجيز١ :٣٥١(الشاملة)،إملاء العكبري ١: ١١٧ومغني اللبيب ٨٢٦، التحرير والتنوير، ٣: ٩٦(طبعة الدار التونسية)
(٨٧) ظ: معاني القرآن،الفراء، ١: ١٨٥
(٨٨) ظ: الجمل،الخليل،١٢٣الكتاب ١: ٢٢،أسرار العربية١٣٢، شرح المفصل٧: ٩٨.
(٨٩) ظ: الجمل،الخليل،١٢٣الكتاب ١: ٢٢،معاني القرآن،الفراء،١ : ١٨٦،أسرار العربية١٣٢،شرح المفصل٧: ٩٨.والبيتان من شواهد الخليل وسيبويه،والفراء،وأبي البركات الأنباري وابن يعيش.وثمة اختلاف في نسبة بيت عنترة وروايةالشطر الأول فيه ففي الكتاب منسوب لعمرو بن شأس ظ: فهارس كتاب سيبويه ٨١٠،والكتاب١: ٢٢(بولاق)،ورواه الفراء بلا نسبة واختلاف صدره (لله قومي أيُّ قوم لحُرة)بدل المذكور أعلاه.
(٩٠) ظ: الخصائص ٢ : ٤٩٥.
(٩١) الحجة للقراء السبعة،الفارسي،٣: ٢٥١
(٩٢) ظ: الجمل١٢٤،الكتاب ١: ٢١- ٢٢(بولاق)، معاني القرآن ١: ٢٠٥، تفسير الطبري ٥: ٣١،الكشاف ٢: ٦١،المحرر الوجيز١ :٣٥١،إملاء العكبري١: ١١٧ومغني اللبيب ٨٢٦،التحرير والتنوير٥: ٢٤(طبعة الدار التونسية)
(٩٣) ظ: معاني القرآن ٢: ٢٠٥، تفسير الطبري ٥: ٣١.
(٩٤) الكتاب ١: ٢٢،ظ: اسرار العربية ١٣٢.
(٩٥) ظ: الحجة في القراءات السبع١٠٣.
(٩٦) ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ١٨٥،الحجة في القراءات السبع١٠٣.
(٩٧) ظ:الجمل١٢٤، معاني القرآن،الزجاج،٤: ١٠١،الكشاف ٤: ٤١٥.
(٩٨) قرأ الجمهور بالتذكير(يلتقطه)ظ:الجمل١٢٤،الخصائص ٢: ١٨٤،التبيان للطوسي٦: ٩٩،المحرر الوجيز٣: ١٧٢،وإملاء العكبري ٢: ٤٩ والبيت من شواهد الخليل، وابن جني.
(٩٩)الكتاب ١: ٢٥.
(١٠٠) ظ: الخصائص ٢: ١٨٤،المحتسب١: ١٤٤.
(١٠١) ظ: الخصائص ٢: ١٨٤،المحتسب١: ١٤٤،الكشاف ٢: ١١١،المحرر الوجيز٣: ١٧٢،إملاء العكبري ٢: ٤٩
(١٠٢) التحرير والتنوير ١٢: ٢٢٦. (طبعة الدار التونسية)
(١٠٣) الجمل١٢٤
(١٠٤) ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ٦١،الصاحبي ٣٦٤،فقه اللغة وسر العربية،الثعالبي،٣٣٠،مغني اللبيب١٩١،نظم الدرر ٢: ٧٢- ٧٣.
(١٠٥) ظ: الصاحبي ٣٦٤،فقه اللغة وسرّ العربية ٣٣٠ ،إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٥٤ ، همع الهوامع ١: ٣٥ – ٣٨،نظم الدرر٢: ٧٢-٧٣،حدائق الروح والريحان ٢: ١٣٧
(١٠٦) الجمل،الخليل،١١٨.
(١٠٧) ظ: معاني القرآن وإعرابه،للزجاج،٥: ٢١٩،التبيان في تفسير القرآن للطوسي ١٠: ١١٠،اللباب في علوم الكتاب ١٩: ٣٥٥
(١٠٨) ظ: إملاء ما منّ به الرحمن٢: ٢٦٨ .
(١٠٩) الجمل،الخليل،١١٩،ظ: الخصائص٢: ٥٢٠ والبيت من شواهد الخليل، ورواه ابن جني بـ(لأتيكم تشكّرَ ما مضى) وهو في ديوان الطرماح..
(١١٠) الخصائص٢: ٥٢٠ (تحقيق هنداوي).
(١١١) الصاحبي٣٦٥(تحقيق أحمد صقر)
(١١٢) ظ: كتاب سيبويه ١: ٨ (بولاق)
(١١٣) ظ: كتاب سيبويه ١: ٤١٦(بولاق)،الخصائص ٢: ٥١٩،(تحقيق هنداوي)،الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب٣٦٤،(تحقيق أحمد صقر)والبيت من شواهد ابن هشام في ثلاثة مواضع ، وشواهد ابن عقيل برقم(٢٨٦) ٢: ١٩٦، وهمع الهوامع برقم(١٠)١: ٣٦
(١١٤) ظ:الخصائص ٢: ٥٢٠- ٥٢١،وأيضا في شواهد هذا النحو،ظ: الخصائص١: ٧٨، ٣٤٠
(١١٥) ظ:ارتشاف الضرب ٤: ١٨٩٩، حاشية الصبان ٤: ٥٦
(١١٦) ظ: شرح التسهيل،لابن مالك،٤: ٩٦،همع الهوامع ٢: ٤٦٨،دراسات لأسلوب القرآن ٢: ٦٤٣، ٦٤٦- ٦٤٧
(١١٧) ظ: معاني القرآن وإعرابه١: ٢٣٤
(١١٨) ظ: فقه اللغة وسرّ العربية،الثعالبي،٣٣٠
(١١٩) مغني اللبيب ٣٤٨- ٣٤٩، ظ: ارتشاف الضرب ٤: ١٨٩٨.
(١٢٠) البيتان من شواهد ابن هشام، وابن مالك في استعمال(لو) في معنى الاستقبال، ظ:مغني اللبيب ٣٤٤، شرح التسهيل٤: ٩٦ ، حاشية الصبان٤: ٥٣.
(١٢١) ظ: شرح ابن عقيل ٤: ٤٧- ٥٠،٤٨- ٥١،والبيتان من شواهد ابن هشام،وابن مالك،أيضا،في استعمال(لو) في معنى الاستقبال، ظ: مغني اللبيب ٣٤٤، شرح التسهيل٤: ٩٦،همع الهوامع٢: ٤٦٨.وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن هشام نسبهما لتوبة،وأكده الدكتور مازن المبارك في تحقيق مغني اللبيب ولذا آثرناه وأثبتناه وهو كذلك في تحقيق الاستاذ أحمد شمس الدين للهمع،خلافا لما أثبته الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد في تحقيقه لشرح ابن عقيل قال: هو نوبة(بالنون)وضبط الحمير فقال: بضم الحاء وفتح الميم وتشديد الياء المثناة،وظننته تصحيفا فرجعت لجميع طبعات شرح ابن عقيل فوجدته أثبت(نوبة).
(١٢٢) ظ: حاشية الصبان ٤: ٥٣، ٦٠.
(١٢٣) ظ: الإيضاح في علوم البلاغة٩٩.
(١٢٤) ظ: كتاب سيبويه ٢: ٣٠٧(بولاق)، دراسات لأسلوب القرآن ٢: ٦٤٣، حدائق الروح والريحان ٢: ١٥٤
(١٢٥) ظ: المحرر الوجيز١: ١٨٩(طبعة دار الكتب العلمية/ محمد علي بيضون).
(١٢٦) ظ:التحرير والتنوير ١: ٦٤٨(طبعة الدار التونسية) .
(١٢٧) ظ: كتاب سيبويه ١: ١٣٦(بولاق)وأيضا: ١: ٢٧٠(طبعة عبد السلام)،معاني القرآن واعرابه للزجاج ١: ٢٢٣، إملاء ما منّ به الرحمن٢: ٢٦٩،الدر المصون ٢: ٣-٤ .
(١٢٨) الكشاف١: ٣٠٧(طبعة مكتبة العبيكان/ الرياض).
(١٢٩) ظ: معاني القرآن واعرابه للزجاج ١: ١٨٧،الكشاف١: ٣٠٧(طبعة مكتبة العبيكان/ الرياض)،المحرر الوجيز١: ١٨٩(طبعة دار الكتب العلمية/ بيضون)،إملاء ما منّ به الرحمن ١: ٥٦،اللباب في علوم الكتاب٢: ٣٥٦- ٣٥٨،(طبعة دار الكتب العلمية)،التحرير والتنوير١: ٦٤٨(طبعة الدار التونسية)،وقول امرئ القيس من شواهد النحويين في التنازع وفيه خلاف عرضه السيوطي. ظ: همع الهوامع ٣: ٩٨
(١٣٠) معاني الفراء١: ١٧٥، وظ: الأدوات النحوية في كتب التفسير ٣٨٥.
(١٣١)الكشاف ٤: ٤٧٢(طبعة مكتبة العبيكان/ الرياض)،المحرر الوجيز ٤: ٢٧٠(طبعة دار الكتب العلمية/ بيضون)،نظم الدرر ١٤: ٢١٥.
(١٣٢) معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٢: ٢٥
(١٣٣) ظ : شرح المفصل ٧: ١٠٠،شرح التسهيل ١: ٣٦٠،شرح ابن عقيل ٢: ٤٣.
(١٣٤) ظ: مثلا،الأصول في النحو،لابن السراج،٢: ٢٥٧- ٢٥٨ شرح المفصل ٧: ١٠٠،شرح التسهيل ١: ٣٦٠- ٣٦٢، أوضح المسالك ١: ٢٥٧،شرح ابن عقيل ١: ٢٨٨- ٢٨٩ ،شرح المكودي على ألفية ابن مالك ١: ٢٠٢.
(١٣٥) ظ: الجمل١١٩.
(١٣٦) ظ: الجمل١٢٤،المقتضب٤: ١١٧، أسرار العربية ١٣٢،شرح المفصل٧: ٩٩- ١٠٠.
(١٣٧) ظ: المقتضب٤: ١١٧، أسرار العربية، ١٣٤،١٣٢.
(١٣٨) ظ: كتاب سيبويه ١: ٢٦٢(بولاق)

(١٣٩) أسرار العربية١٣٢،.
(١٤٠) ظ: الجمل١٢٥،البيت من شواهد الخليل كما أثبتناه،ورواه سيبويه وتبعه المبرد في المسألة نفسها(فكيف إذا رأيت ديار قوم)ظ:الكتاب ١: ٢٨٩،والمقتضب ٤: ١١٦،والصاحبي في فقه اللغة٢٤٧،شرح التسهيل ١: ٣٦١،ورواه ابن مالك في شرح التسهيل(فكيف إذا مررت بدار قوم)وأثبته كذلك مازن المبارك في تحقيقه على مغني اللبيب ظ: مغني اللبيب ٣٧٧الشاهد رقم(٥٢٦)،وكذا في شرح ابن عقيل١: ٢٨٩الشاهد(٦٩)
(١٤١) تحصيل عين الذهب١٢٣،ظ:الكتاب ١: ٢٩٠،فقه اللغة وسرّ العربية٣٤٤،أسرار العربية١٣٤،ومغني اللبيب٣٧٧- ٣٧٨
(١٤٢) الكتاب ١: ٢٨٩- ٢٩٠، ظ: المقتضب ٤: ١١٦، شرح المفصل٧: ٩٩
(١٤٣) المقتضب ٤: ١١٧،وفي اللام في(لنا)خلاف أهي للملك أم الاختصاص وقد جلى الخلاف المحقق عضيمة بما يغني عن إعادته في المسألة عند تحقيقه المقتضب في الموضع المشار إليه، فقد نقل عنه في نقد المبرد لكتاب سيبويه أنّ كان ناقصة وليست زائدة وردّه ابن ولاد في الانتصار ورد الشنتمريّ على ابن ولاد.
(١٤٤) معاني القرآن وإعرابه،للزجاج،٢: ٣٢-٣٣ ، وفي حقيقة رأي المبرد ظ: المقتضب ٤: ١١٦- ١١٧
(١٤٥) ظ: فقه اللغة وسرّ العربية٣٤٤
(١٤٦) ظ:الجمل،الخليل،١٢٥
(١٤٧) ظ: الجامع لأحكام القرآن ٥: ٢٦٠،نظم الدرر٥: ٢٤،
(١٤٨) ظ: الجمل،للخليل،١١٩،كتاب سيبويه١: ٣٩٦،٣٦(بولاق)،معاني القرآن للفراء ١ : ١٩٣،أسرار العربية ١٣٣،شرح المفصل ٧: ١٠٠،شرح التسهيل ١: ١٦٦،شرح أبيات سيبويه ١ : ٢،٢٢٣: ١٤٥،همع الهوامع ١: ٢٢٦والبيت برواية الخليل (فحسبك ما تريد من الكلام)لكنّ سيبويه رواه(...إلى الكلام)،وقد تجدر الإشارة إلى توهم الدكتور محمد الريح الهاشم محقق شرح أبيات سيبويه في ضبط البيت الأول فزاد فيه الواو(وإذا ما المرء...)فعده من بحر الكامل وهو خطأ،زيادة في عدم استقامة البحر مع الزيادة على الكامل.بل من الوافر.
(١٤٩) ظ: شرح التسهيل ١: ٣٦٢،همع الهوامع ١: ٣٨١ونقل السيوطي جواز زيادتها عن الكوفيين.
(١٥٠) ظ: الجمل١٢٧، كتاب سيبويه ١: ٢٤بولاق.
(١٥١) ظ: الجمل١٢٧، كتاب سيبويه ١: ٢٤بولاق والبيتان من شواهد الخليل وسيبويه، ورواية سيبويه(وقد علم).
(١٥٢) ظ: الجمل ١٢٧.
(١٥٣) الجمل١٢٦،معاني القرآن واعرابه،الزجاج،٢: ٣٥٢.
(١٥٤) ظ: في النحو العربي(نقد وتوجيه)للمخزومي ٧٠، دلالة الاعراب،بتول قاسم،٤٨.
(١٥٥) كتاب سيبويه ١: ٢٢(بولاق).
(١٥٦) كتاب سيبويه ١: ٢٤بولاق،معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٢: ٣١٩، ٤: ٤٣٤.
(١٥٧) معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٢: ٣١٩، وظ: ٤: ٤٣٤.
(١٥٨) ظ: معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،٥: ١٤٩،الحجة في القراءات السبع ١٣٦،الدر المصون١٠: ٤،٢٩١: ٥٧٢
(١٥٩) الجمل١٢٦، ظ: الكتاب ١: ٢٥بولاق .
(١٦٠) ظ: الجمل١٢٧، كتاب سيبويه ١: ٢٤بولاق،الكشاف ٦: ٨٣.
(١٦١) ظ: معاني القرآن،الفراء، ١: ٢٣٧، معاني القرآن، الأخفش،١: ٢٣٥،معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،١: ٤٧٧ ، الدر المصون٣: ٤٣٣
(١٦٢) ظ: كتاب سيبويه ١: ٤٧٥،كتاب الحلل في إصلاح الخلل ٣٧٢،دراسات لأسلوب القرآن الكريم١: ٤٧٠- ٤٧٨،النحو الوافي ٤: ٢٩٠- ٢٩٨،الأدوات النحوية٣٨٢- ٣٨٦
(١٦٣) الحجة للقراء السبعة٣: ٢٤٦.
(١٦٤)ظ: كتاب سيبويه ١: ٤٨١،الكشاف ٤: ٣٧٦.
(١٦٥)ظ: كتاب سيبويه ١: ٤٧٦،معاني القرآن،الكسائي،٧٥- ٧٦،معاني القرآن،الأخفش،١: ١٤٤،معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،١: ١٧٢،الكشاف ٤: ٢٩٧.
(١٦٦)ظ: شرح المفصل ٧: ١٥،شرح التسهيل ٤: ٦- ٧،شرح ابن عقيل ٤: ٤،شرح المكودي٢: ٦٨٧- ٦٨٩،شرح الأشموني ،وبضمنه حاشية الصبان ٣: ٤١٤.
(١٦٧) شرح ابن عقيل ٤: ٤، ظ: مغني اللبيب ٤٦- ٤٧.
(١٦٨) ظ مثلا:معاني القرآن،الأخفش،١: ٣١،١٩٤،.
(١٦٩) ظ : معاني القرآن،الأخفش،١: ١٢٢شرح التسهيل ٤: ٧،حاشية الصبان ٣: ٤١٥.
(١٧٠) معاني القرآن ١: ٣٤٩، ظ: ١٩٤، ٢: ٥٢٧ ، ظ: شرح الأشموني(وبهامشه حاشية الصبان)٣: ٤٢٠.البيت من شواهد ابن جني في الخصائص وهو للفرزدق يهجو عمر بن هبيرة الفزاري أحد عمال سليمان بن عبد الملك لتعرضه بالإساءة للفرزدق ومعنى البيت لو كانت غطفان غير مسينة إليّ لـلام أشرافها عمرا ومنعوه عني.وهكذا فسر الأخفش قوله تعالى(وما لنا ألاّ نقاتل/ البقرة٢٤٦)قياسا في زيادة(أن)وعملها على زيادة(من)في خبر النفي.وضعف ابن مالك طريقة الأخفش في هذا/ ظ: شرح التسهيل ٤: ١٢.
(١٧١) جامع البيان في تفسير القرآن،الطبري،٩: ٢٣٩،ظ: الخصائص١: ٤١٨،إملاء ما منّ به الرحمن،العكبري،٢: ٦، الدر المصون ٥: ٥٩٨.
(١٧٢) الأفصح على الرغم من.
(١٧٣) النحو الوافي ٤: ٢٨٤.
(١٧٤) ظ: شرح التسهيل ٤ : ٨ ،مغني اللبيب ٤٦،شرح ابن عقيل ٤: ٥،حاشية الصبان ٣: ٤١٤.
(١٧٥) شرح التسهيل ٤ : ٧.
(١٧٦) كتاب سيبويه ١: ٤٨١(بولاق)،والآية من المزمل٢٠ظ: الحجة لابن خالويه ١٣٣،إملاء ما منّ به الرحمن،العكبري،٢: ٢٧٢،الدر المصون ١٠: ٥٣١.
(١٧٧) كتاب سيبويه ١: ٤٨١- ٤٨٢(بولاق)،ظ: الجمل في النحو للخليل ٢٠٧- ٢٠٨،العوامل المائة ١٦٢- ١٦٤،كتاب الحلل في إصلاح الخلل ٣٧٢، شرح ابن عقيل٤: ٤.
(١٧٨) كتاب سيبويه ١: ٤٨١- ٤٨٢ (بولاق)وتجدر الإشارة أنّ قراءة عاصم المثبتة في القرآن الذي نتعبد به اليوم هي قراءة النصب وهي قراءة عاصم وابن عامر ونافع وابن كثير ،وقرأ الكسائي،وحمزة وأبو عمرو بالرفع. وهي استشهد بها سيبويه،ظ: الحجة في القراءات،لابن خالويه،١٣٣- ١٣٤، والحجة للقراء السبعة،الفارسي،٣: ٢٤٦، شرح التسهيل ٤: ٧
(١٧٩) كتاب سيبويه ١: ٤٨١- ٤٨٢ (بولاق)،ظ: الحجة للقراء السبعة ٣٣: ٢٥٠
(١٨٠) ظ: معاني القرآن للأخفش١: ١٢١- ١٢٩،١٢٢،الدر المصون ٤: ٣٦٥
(١٨١) ظ: إملاء ما منّ به الرحمن،العكبري،٢: ٦، الزمن النحوي ١٣٦- ١٣٧
(١٨٢) ظ: الكشاف٤: ١٦١، ٦: ٢٤٨،الدر المصون ١٠: ٥٣١،الزمن النحوي ١٣٦- ١٣٧.
(١٨٣) ظ: معاني القرآن،الزجاج،٢: ٣٠٩، أسرار العربية ٢٩١، نتائج الفكر في النحو٩٧.
(١٨٤) ظ: معاني القرآن،الفراء،٢: ٢٨٣،معاني القرآن،الأخفش،٢: ٤٦٢،معاني القرآن،الزجاج،٤: ١٠١،الحجة لابن خالويه٢٦٨.
(١٨٥) ظ: الكشاف ٤: ٤١٥، الحجة لابن خالويه٢٦٨،الجواهر الحسان،الثعالبي، ٤: ٢٣٦.
(١٨٦) ظ: الحجة للقراء السبعة ٣: ٢٥٠.وينظر في مثل هذا من الظن المستعمل في ما هو يقينٌ ومثله قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}(البقرة٢٤٩،هود ٢٩،)وقوله:{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}(الحاقة٢٠)وقوله{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ}(البلد٥) وقوله:{أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}(البلد٧)وقوله:{ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}(الانشقاق١٤).
(١٨٧) الحجة للقراء السبعة ٣: ٢٤٦- ٢٤٩.
(١٨٨) كتاب سيبويه ١: ٤٨٢.
(١٨٩) الحجة للقراء السبعة ٣: ٢٥٠.
(١٩٠)ظ: كتاب سيبويه ١: ٤٧٩.
(١٩١)ظ: معاني القرآن،الزجاج،٣: ٢٩،الكشاف ٣: ١٦٣،المحرر الوجيز٣: ١٣٤،الدر المصون ٦: ٢٤٦،اللباب في علوم الكتاب١٠: ٣٨٣.
(١٩٢)ظ: معاني القرآن،الفراء،١: ٤٧٢، الحجة للقراء السبعة٤: ٣١٦،الدر المصون٦: ٣٠٩.
(١٩٣) النحو الوافي ٤: ٢٨٢،و يراجع تفصيلها في ١: ٦٤٤، ٦٧٩- ٦٨٠
(١٩٤) ظ: الجمل،الخليل، ٢٠٧- ٢٠٨،كتاب سيبويه ١: ١٩٥(بولاق)
(١٩٥) ظ: كتاب سيبويه ١: ١٩٥، ٤٨١- ٤٨٢(بولاق)، معاني القرآن واعرابه،الزجاج،٢: ٣٢٣
(١٩٦) ظ: الجمل،الخليل،٢٠٨،معاني القرآن،الفراء،١: ١٣٥، معاني القرآن واعرابه،الزجاج،٣ : ٣٧٣،شرح التسهيل ٤: ١٢

(١٩٧)معاني القرآن،الفراء،١: ٤٤٨
(١٩٨) الجمل،الخليل،٢١١، ظ:معاني القرآن،الأخفش،١: ١٣٣
(١٩٩) الحجة في القراءات السبع ١٣٣
(٢٠٠) ظ: معاني القرآن للفراء ١: ١٣٥
(٢٠١) شرح التسهيل ٤: ٧
(٢٠٢) ظ : الجمل،الخليل،٨٣،كتاب سيبويه ١: ٤٧٥،معاني القرآن للفراء ١: ١٨٩،كتاب الحلل في إصلاح الخلل ٣٧٢.
(٢٠٣) ظ: الجمل،للخليل،٧٩- ٨٢، كتاب سيبويه١: ٢٦٢(بولاق)،دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١: ٤٨٤- ٤٨٧.
(٢٠٤) ظ: معاني القرآن،الأخفش،١: ١٢٩ الدر المصون٣: ١٦٤.

.....

مكتبة البحث

١. القرآن الكريم
٢. الإبانة عن معاني القراءات/لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي،،تحقيق: د . محيي الدين رمضان، ط/١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣. الاجتهاد في النحو العربي/ رياض كريم عبد الله البديري،أطروحة دكتوراه لسنة ٢٠٠٦.- جامعة بغداد : كلية التربية ابن رشد الأولى .
٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب/ أبو حيان الأندلسي،تحقيق: د. رجب عثمان محمد،مراجعة: رمضان عبد التواب ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨
٥. أسرار العربية/لأبي بركات الانباري(ت٥٧٧هـ)،تحقيق:محمد بهجت البيطار،مطبوعات المجمع العلمي العربي،دمشق.
٦. أسرار العربية/لأبي بركات الانباري(ت٥٧٧هـ)،تحقيق: الدكتور فخر صالح قدّارة. – بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥
٧. الأصول في النحو/ محمد بن سهل بن السراج؛ تح.عبد الحسين الفتلي.- ط ٤ بيروت:مؤسسة الرسالة،١٩٩٩.
٨. إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها الكتاب الثاني،الإعجاز في مفهوم جديد ، عبد الكريم الخطيب،ط١ دار الفكر العربي،مطابع دار الكتاب العربي، بمصر ،١٩٦٤
٩. إعراب القرآن/ أبو جعفر احمد بن محمد النحاس(ت٣٣٨هـ)؛ تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني.- ، بغداد-١٩٧٩م
١٠. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن/ أبو البقاء العكبري؛ تح. إبراهيم عطوة. - مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦١.
١١. الإيضاح في علوم البلاغة/ الخطيب القزويني، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي.- ط٥ .- بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠
١٢. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٥٤هـ)، ط/٢. – بيروت: دار الفكر،، ١٣٩٨-١٩٧٨م.
١٣. بنية اللغة الشعرية/ جان كوهين ؛ ترجمة محمد الولي ،محمد العمري.- المغرب العربي: دار توبقال.
١٤. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره السيد احمد صقر، دار التراث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٣.
١٥. التبيان في إعراب القرآن/ أبو لبقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله النحوي العكبري؛ تح.محمد البجاوي .- ط٢ .- بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م
١٦. التبيان في تفسير القرآن/ محمد بن الحسن الطوسي ؛ تح.أحمد حبيب قصير العاملي متاح على موقع الجامعة الإسلامية: http://www.u-of islam.net/uofislam/maktaba/Qran/kotob.htm [الكتاب مرقم آلياً موافق للمطبوع](المكتبة الشاملة)
١٧. التحرير والتنوير/ابن عاشور.- الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤
١٨. التحرير والتنوير/ابن عاشور.- متاح على موقع التفاسير http://www.altafsir.com
١٩. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب / يوسف بن سليمان الشنتمري؛تح. د.زهير عبد المحسن.- دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط١. ١٩٩٢م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي.- ط٣، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية.- القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ).- ط٢.- مصر: مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٤م.
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ؛ تح. أحمد محمد شاكر .- مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م
٢٣. الجمل في النحو/ الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ تح. فخر الدين قباوة .- بيروت : مؤسسة الرسالة ،١٩٨٥ .
٢٤. الجمل في النحو/ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي؛ تح. علي توفيق الحمد.- بيروت،١٩٨٨م
٢٥. حاشية الصبان على شرح الأشموني(بحاشية كتاب شرح الأشموني)/ محمد بن علي الصبان؛ تح. طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: المكتبة التوفيقية(د. ت)
٢٦. الحجة للقراء السبعة/ أبو علي الفارسي ؛تح. بدر الدين القهوجي،بشير جويجاتي. – بيروت : دار المأمون للتراث ،١٩٨٤.
٢٧. الحجة في القراءات السبع/ ابن خالويه؛ تح .عبد العال سالم مكرم. -ط٢.-الكويت: دار الشروق.
٢٨. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ محمد الأمين العلوي الشافعي؛ مراجعة د. هاشم محمد علي . - بيروت: دار طوق النجاة،٢٠٠١
٢٩. الحلل في إصلاح الخلل/ عبد الله بن السيد البطليوسي ؛ تح.سعيد عبد الكريم سعودي . – بيروت: دار الطليعة، (د. ت)
٣٠. الخصائص/ أبوا لفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)؛ تح. محمد علي النجار، بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
٣١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: دار الحديث ، ١٩٧٢ .
٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف السمين الحلبي؛ تح. أحمد محمد الخراط . – دمشق : دار القلم ، (د . ت)
٣٣. السبعة في القراءات/ أبو بكر احمد بن موسى المعروف بابن مجاهد(ت٣٢٤هـ)؛ تح. شوقي ضيف.- ط٢.- القاهرة: دار المعارف،١٩٨٠م
٣٤. شرح ابن عقيل على الفية بن مالك/ بهاء الدين بن عقيل؛ تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. -ط١٦.- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣٥. شرح أبيات سيبويه / أبو محمد السيرافي؛ تح: محمد الريح هاشم . – بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦.
٣٦. شرح التسهيل / ابن مالك ، تح. عبد الرحمن السيد وزميله؛ القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٠
٣٧. شرح جمل الزجاجي/ ابن عصفور الاشبيلي(ت٦٦٩هـ)؛ تح. صاحب أبو جناح.- جامعة الموصل :مطابع دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٢م
٣٨. شرح الكافية الشافية/ ابن مالك ؛ تح. عبد المنعم هريدي .- السعودية : دار المأمون للتراث، ١٩٨٢م.
٣٩. شرح المفصل / علي بن يعيش ؛ صححه وعلق عليه مشيخة الأزهر . – مصر: المطبعة المنيرية .
٤٠. الصاحبي في فقه اللغة/احمد بن فارس؛تعليق احمد حسن بسج.- لبنان:دار الكتب العلمية،١٩٩٧.
٤١. الصاحبي في فقه اللغة/احمد بن فارس؛تحقيق. السيد أحمد صقر القاهرة: مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية،١٩٧٧.
٤٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز: للعلوي ، مطبعة المقتطف، مصر ، ١٩١٤م .
٤٣. فقه اللغة وسرّ العربية/ أبو منصور الثعالبي ؛ تح . مصطفى السقا وزميليه. – مصر: البابي الحلبي ، ١٩٧٢
٤٤. في النحو العربي(نقد وتوجيه)/ مهدي المخزومي . - ط٢، بيروت: دار الرائد العربي
٤٥. الكتاب/ أبو بشر عمرو سيبويه. -مصر: المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣١٦هـ،
٤٦. الكتاب/ أبو بشر عمرو سيبويه ؛ تح. عبد السلام هارون . -مصر: دار القلم، ١٩٦٦م
٤٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ جار الله الزمخشري.- مصر: مكتبة التجارية الكبرى، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٤
٤٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع/ مكي بن أبي طالب؛ تح محيي الدين رمضان. -دمشق.
٤٩. اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل عمر بن علي الدمشقي(ت٨٨٠هـ)؛تح د. محمد سعد رمضان وزملائه. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.
٥٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ضياء الدين بن الأثير؛تح. كامل محمد محمدعويضة.- بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٩٩٨
٥١. المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها/ ابن جني؛ تح.علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي.- ط٢.- دار سزكين،١٩٨٦م.
٥٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية(ت٥٤١هـ).- (ج١)تح.احمد صادق الملاح.- القاهرة، ١٩٧٤م.- والأجزاء من (٢-٦)/حققها. الرحالي الفاروق،وزميلاه.- والأجزاء(٧-١٣)/حققها.عبد الله إبراهيم الأنصاري،وزميله،قطر.
٥٣. معاني القرآن/ سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط)؛تح الدكتورة هدى محمود قراعة . – القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٩٩٠ .
٥٤. معاني القرآن/ يحيى بن زياد الفراء:تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ط٣ . – بيروت: عالم الكتب ،١٩٨٣
٥٥. معاني القرآن وإعرابه / الزجاج؛ تح. عبد الجليل عبدة شلبي.- بيروت: عالم الكتب، ، ١٩٨٨م
٥٦. معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩م.
٥٧. المغني في النحو/ تقي الدين بن فلاح؛تح.عبد الرزاق السعدي.- بغداد:وزارة الثقافة والإعلام،١٩٩٩.
٥٨. . مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/ ابن هشام الأنصاري؛ تح. محمد محيي عبد الحميد.- القاهرة : مطبعة المدني.

٥٩. مفاتيح الغيب/ أبو عبد الله محمد بن الحسين التيمي الملقب بالفخر الرازي.- متاح على موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com
٦٠. المفصل في علم العربية / جار الله الزمخشري؛ تح. محمد محيي الدين عبد الحميد .- القاهرة : مطبعة حجازي.
٦١. المقتضب/أبو العباس المبرد؛ تح.محمد عبد الخالق عظيمة.- القاهرة:دار الكتاب المصري،١٣٩٩هـ
٦٢. النحو الوافي / عباس حسن . - ط٣ . – مصر: دار المعارف ،(د . ت)
٦٣. النشر في القراءات العشر/ أبي الخير محمد بن محمد المشتهر بابن الجزري؛راجعه وصححه علي محمد الضباع.- بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ برهان الدين البقاعي . – القاهرة: دار الكتاب الاسلامي .
٦٥. النكت والعيون/ أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(ت٤٥٠هـ).- متاح على موقع التفاسير http://www.altafsir.com
٦٦. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي،تح: أحمد شمس الدين . – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.

the Koran 7: 283, AA: the argument of Ibn Khalouet 146, and indicate Tusi 4: 209-210)
Has come like this also Matova appropriate manner on the meaning of the one before it, not the word, although not a barrier between them, as some of them said (to a man from Qais Eilan, and percentage of share): (a generous)
We came to us and spoke to ask ... Pending complaint and trigger a shepherd (House of the evidence of Book 1: 87, al-Tabari (ed. portal Halabi 1954 i 2) 7: 283, and the edition of Foundation message achievement (Ahmad Mohammad Shakir) 11: 557, and Alsahabay Ibn Faris 212, and singer Allbeb number 704 should be noted that tells in the book In Tabari explained and proved the report of Ibn Faris fitness Sea bumper without Zhafe or faults, said Mr. Ahmed Mohammed Shaker investigator of Al-Tabari that (Whilst we were asking) narrated by Ibn Faris, a mistake in Alsahabay and spoke to us Nriqbh In Sibawayh / edition Bulaq (Whilst we we ask) and in the edition of al-Tabari al-Halabi (Nnzerh and spoke to us), while a female interrogator made a mistake has dropped to an imbalance of weight ta Aeroda)
And read Kufis: (and made the night a home and the sun), to (verb), meaning the past tense, and set up (night). Abu Jltabra: the right to say that we have to say: they are two Mstfadtan in the regions, Mtafqata sense, is Mokhtfattah, Fboathma read the reader is correct in expressing the meaning. Tell a glorified and exalted, as he made the night a home, because he lives it every day and moving, and the rest, Vistqr in his home and his abode. (Aa: Mosque of the statement in the interpretation of the Koran 7: 283, the argument of Ibn Khalouet 146)
I do not see it as well, but the meaning the meaning of the name of the actor, including the recipe is Mnonh D to move continuously inform the future, though the meaning that make it a home has always been without the will of the meaning of regeneration which Ptaaqbh with the day and this meaning and that was okay and the fact that Allah will grant the night, but narrow and verse Blfezha atmosphere allows high and wide and started to act a sign of regeneration, which means succession so meaning to mention the day and night. But set the sun and the moon on the meaning of the act indicates the regeneration of the meaning of succession, which befits the sense that he sees the researcher from having to read the reaction of the broad meaning of the succession of night and day, corresponding to the sun and the moon (and night (day and the sun) and the Moon). This is what I see from the art installation of the gateway Quranic Alajaz on the property and reduce the term with the convergence of the parties and God knows best.
And as such were the details of research has been divided by three sections, the first of them in the direction of the movement to change the grammar Alaarabah in order to detect the deviation of the grammatical function of the single result of this has changed the faces of general reading.
It also addressed the second statement of the impact of morphological change (single structure), the researcher has counted a number of Qur'anic evidence of the subject matter in this issue.
While the characteristics of the sound effect to reveal the meaning and for the plurality of users and the multiplicity of the Qur'anic statement that was read in the Study III.
It should be noted that the researcher has completed the morphological topic has been studied in previous research published in various magazines in the magazine Kufa University Center for the Study of Kufa, and the Journal of the Faculty of Jurisprudence, The Journal of the Faculty of Education at the University of Babylon.
The finished thesis voice and was part of the Platform forum posting in the winter of 1432 H was thrown Search seventh meeting on Friday, 2/22/2011, and here, where the Department of Arabic Language distinguished in the Faculty of Education of the University of Basra, aged God I decided to skip the third game was this research in Summer 1432 H Shaaban Trafalgar - July 2011. This last prayer is praise be to Allah, Lord of the Worlds, and blessings of Allah on Muhammad and publish peace and recognition of the much venerated companions of all

who followed him kindness. Researcher

The idea of research and its properties

Quranic evidence is rich tributary streams of the study of language; so that it faces, which have several Alaarabah also carrying a large shipment of acoustic and morphological significance because of the multiplicity of readings. Hence, it is a source of linguistic study of language and sources underlying the origin of large assets and president of the hearing is not completely set aside grammarians, but they took him to a large extent.

Perhaps it is worth mentioning that say that the guidance language at Hebron and Sibawayh is the same as adopted by the linguists who came after them the son reap (d. 392 AH) and other linguists. This was a major reason to choose this subject, after searching for it in Amadana I have not on a comprehensive study is a study by Dr. Khadija Ahmed Mufti tagged (some readers Alkoviin), which is where we are as to justify reading the argument and the statement of the grammatical collected the views of scientists in the protest to correct the reading of the grammar.

It was not for this study only take place in the orbit of the book because it is a brutal views of al-Khalil bin Ahmad al-Faraaheedi (d. 175 AH) was dictate to his student Sibawayh (d. 180 AH), and then in the orbit of the book of Hebron (the strings in the way) achieved by Dr. Fakhruddin Qpauh.

May be different than reading to change the movement Aarabah than available with the lesson on a good chunk of the scientific study of the description and analysis. Examples include the direct meaning to read the traction / followers on the status of the monument to the praise or the pieces get started in meaning: Praise be to Allah! (light 2). and this difference affects the multiplicity of meaning what grammar reveals about the significance of the context and meaning of the discourse on the interpretation.

Has no verse in the origin of the famous read them and worship them on the different movement of so-called broken context in the verse {but versed in knowledge of them and the believers believe in what was revealed to you and what was revealed before you and residents of prayer and Almaton Zakat and the believers in Allah and the Last Day, those Snatém Ograazima} (women 162) and this and so a reference to the jurisdiction of the residents of prayer features of worship which is accepted by the human actions and penalty-Rahman, evidenced by the famous hadeeth (prayer restrains from indecency and evil, if accepted by the other replies were received, although the other).

May affect the movement to change the meaning Alaarabah such as reading the entire lift in exile (not) that transforms the meaning of exile to exile to spend a normal sex and the conversion (not) of precluding itself to being independent in the sense is not.

The difference between them on the lift and the memorial, we say the defense to spend a Gender: (no money to Zaid), which is to deny any kind of money Valmnfa sex all the money little or a lot, and it says {no doubt} said {no obscenity, nor commit sin, nor dispute} and he { and Akhlh nor intercession} Khalil said in a recipe (not acquittal) and in the interpretation of Tlkm evidence: ((and raise the rendering (not) in the sense of not selling it, and not a trait, not the intercession of)) (book sentences of Hebron 303), which means that a change of movement Alaarabah change in the title of pronunciation and grammatical function.

And that, too, indicated by the Sibawayh the words of Hebron in the interpretation of premeditation on the meaning of the word description appears in about meaning: fault Alabbah and made the night a home and the sun and the moon thunderbolt estimation of Aleem Aziz} (cattle, 96) to read and will create a night (broken) has set the sun and the moon on the set it before him in a sense, was conducted (Renderer) course of action which goes beyond the effect of the special characters and leave the special characters and conducted context will mean it does the work of the act Vensab the sun and the moon (AA: sentences in as 105, and Book 1: 89.178, said investigator sentences Hebron, they read the public, and the reading of Hafs installed in the Quran who worship by Muslims today (the Night) and written explanation like the one from al-Tabari: they read the people of the Hijaz, the city and some of the visual, and reading Alkoviin (make))

According to the researcher in interpreting the meaning of grammar for reading this does not represent the interpretation of the Qur'anic text to the difference of some molecules of meaning between the readings of Al-Tabari (d. 310 AH) (((and will create a night) per thousand utter the name, and submitted further to (fault), and lower (night) by adding

(Renderer) to it , and set up (the Sun and Moon), further to the subject (night), because the (night) and was Mkhvaudha in pronunciation, it is in the position of the monument, because the effect of (Renderer). and good sympathy on the meaning of (night) and not on the word, to enter as saying: "accommodation" between him and (night), the poet said (he Farazdaq): (a long)

Sitting in doors students need ... Awan, of the needs or need a virgin

Vensab (need) the second, further out on the meaning of (the need) first, not to pronounce, because the meaning of the monument, but in pronunciation cut)) (Mosque of the statement in the interpretation of

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa /AL- Najaf
Faculty of Jurisprudence / Department of Arabic Language

Direct evidence of Quranic grammar lesson When Khalil ibn Ahmad (d. 175 AH) in his book as sentencesm and in the book of (Sibawayh) The study of meaning and grammar explanatory givens

(Search)

Assistant Professor
Dr. Reiad Karim Abdullah ALBudairi
Assistant professor of language and grammar
Kufa University /college of arts / Department of Arabic Language

22 –rabei al - aweal 1434 - 2013